بوارق

مُصطفى عكرمة

بوارق

الإهـــداء

إلى ولدي **مؤمَّـل** الذي منَّ اللهُ به عليَّ ليكونَ حبرَ قلمي، ومصفاةَ ما كتبتُ، وحافظَه.

وإلى ولدي **عبد الرزَّاق** الذي رغمَ بُعدِه عنّي فقد جدَّ واجتهـدَ في توثيـق مـا نُـشِرَ لي، وعنّي في أحدث النطاقاتِ المتاحة، وأوسعِها.

وإلى كبيرِهما **رفـــاعة** بما كان له من تحفيزٍ، وحثٍّ، وترغيب...

وإلى بناتي **إصلاح**... **إيثار**... **إيناس**... **إكـرام**... الأربـع اللـواتي أرجـو بمحبَّـتِهنَّ، وصلاحِهِنَّ، وأمومتِهِنَّ شفاعةً بشَّرَ بها خير المرسلين...

وإلى من كانت خيرَ شريكةٍ صابرةٍ، ورفيقةً مؤنسةً، وصاحبةً وفيّةً أمينةً، فعشتُ معها رحلةَ الحبِّ التي تجاوزت الآن الخمسَ والخمسين سنةً، قيَّضَ اللهُ لنا خلالها أهمَّ أسباب السَّعادة الحقَّة...

إليهم جميعًا وقد عشتُ بينهم ومعهم أصفى أيَّام العمر وأحلاه، وإلى كلِّ مـن سـاعدَ وشجَّع، وإلى كلِّ من ألهمَ، وعلَّم... كلًّا بما كان منه، أقدِّم هذا الجهد.

وإلـى أستاذي الأديب الناصح الملتزم، والناقد الحصيف أخي الأحبّ **عبد الله الطنطـاوي (أبو أسامة)** الذي ما كانت هذه المجموعة لترى النورَ من جديد لولا ما صبَّه عليهـا مـن اهتمام، وتحمَّل في نشرها ما تحمَّل مما أقفُ أمامَه عاجزًا عن أن أقـدِّرَه حـقَّ تقـديره، فلـه شكري وامتناني سائلاً اللهَ أن يجزيَه خيرَ ما يجزي به الأوفياءَ المُخلصين...

وقبلَ كلِّ هؤلاء إلى **والديَّ** رحمهما الله تعالى، ورحِمنا جميعًا رحمةً تليقُ بكرمه وإحسانِه، وإنَّهُ لنِعمَ المُرجَّى والنصير...

مصطفى

بســـــم الله الرَّحمن الرَّحيـــم

وقفة ليست عابرة

اللهمَّ يا من تعلمُ أنني أعلمُ أنني لو حمدتُكَ عُمرَ الدّهرِ، وملءَ الأرضِ، وملءَ السموات، وملءَ ما بينهُما، وشكرتُكَ أضعافَ ذلك لما وفَّيتُ بعضَ بعضِ نعمِكَ عليَّ، ومنها هذا الشعر الذي طالما ألهاني عمّا كنت أود أن يقرّبني سواه إليك، وحسبي من ذلك أنَّك أنت ربّي الرحمن الرحيم، وأنتَ مُلهِمُه، وأنَّكَ من أوحيتَ إلى خاتم رُسلِك، وأعظم خلقِكَ وأكرمهم عليكَ وعلينا أن يبلِّغَنا عنكَ وهو الصَّادق المصدوقُ أمرَكَ الإلهي: "**نبّيء عبادي أنّي أنا الغفور الرَّحيم**" الآية ٤٩ من سورة الحجر، ثمَّ أتبعتها أمركَ هذا قائلاً: "**وإنَّ عذابي هو العذاب الأليم**"، فسبق غفرانُكَ وعيدَكَ، كما سبقت رحمتُكَ ما أنذرتَ به المشركين بك ممن حقَّ عليهم عذابُكَ بما جنوه على أنفسهم مؤثرين عليه هواهم، وعفوكَ عنهم ورحمتُك التي وسعت كلَّ شيء قضيتَ بها على نفسِكَ أنه لن يحرم منها من حقَّ عليهم العذابُ إذا هم إليكَ تابوا، وإلى حماكَ واثقين أنابوا، فسبحانكَ سبحانكَ من ربٍّ غفورٍ رحيم، فاكتُبني من التَّائبين.

اللهمَّ إنّي عبدُكَ القويُّ بكلِّ ما أنعمتَ به عليَّ فعشتُ قوّتي كما شئتُ بملءِ إرادتي الحرَّة، فأنت الذي ألهمتني النجدَيْن، وهديتني السبيلَيْن كما عشتُ تلكَ القوّة ضَعفًا متناهيًا حينما ضلّت النفسُ عنك، وقادتها الأهواءُ باتّباع الظنِّ اللهم إلا حسنَ ظنّي بعفوِكَ الكريم فإنَّهُ كان دائمًا نورَ أملي بحسن الخاتمة.

اللهمَّ إنني أتوسَّلُ إليكَ بكلِّ ما يُرضيكَ أن أتوسَّل به إليك، أن تُنيلَني عفوَكَ عن كلِّ ما قلتُ، وما فعلتُ مما لا يليقُ مني بعظيمِ نِعمِكَ عليَّ، وبمقتضى عبوديتي لك... وأنا القائلُ فيها:

حسبي سموُّوًا في حياتي أنني للهِ عبدُ

وأنا القائل أيضًا:

ذنوبي ما أطقتُ لهُنَّ عدًّا غداةَ غدوتُ للأهواءِ عبدا

وصِرتُ أُحِسُّ أنَّ الكونَ مُلكي غداةَ غدوتُ للرَّحمنِ عبدا

اللهمَّ بعلمك المحيط بكلِّ شيء، وبرحمتك التي وسعت كلِّ شيء أتوسَّل إليك أن تبدِّلَ سيئاتي حسنات، وأن تنفع بما يسَّرتَ عليَّ قولَهُ، وذلَّلتَ لي فعلَه أن تغفر لي كلَّ ما لم ترضَ عنه مما أبقيتُهُ من شعر وأثر.

والشعرُ كما عشتُ أتمنى أن يكون ملتزمًا أبدًا بما يقتضيه الواجب، وما يُمليه الإحساسُ بالمسؤولية، وما يفيضُ به الشعور الإنساني ليبقى للأجيالِ أثرًا فاعلاً محمودًا، فإن لم يكُنْ كذلك فهو عندي الشِّرك المركّب الذي يتسرَّبُ بكلِّ يُسرٍ إلى النّفوسِ المتعطّشة المتطلِّعةِ إليه كما يتسرَّبُ الماءُ إلى سفينة تتسعُ ثقوبُها، وهي تُعاني هياجَ أمواجِ بحرٍ متلاطمة، فإذا بتلك النّفوس مستسلمة يعبثُ بها الهوى، وتلهو بها المغريات التي أصبحت أهمّ ما في حياتِنا، فإذا بنا عبيدٌ لها من حيث ندري ولا ندري لِما فيها من إغراءاتٍ يفاجئنا بها كلَّ آنٍ هذا العصر البائس لبعدِه عن فطرتك اللهمَّ التي فطرتَ النّاسَ عليها ربًّا رحيمًا، عليمًا حكيمًا، قادرًا مقتدِرًا، وما سواكَ بقادرٍ ولا مقتدرٍ على شيءٍ أبدًا إلا بما تُيسِّرُه.

وإنني أحسُّ وأنا أسطّر هذه الكلمات التي قد تكون آخر ما أخطّهُ، فقد أُعِدِّت سيّارةُ الحياةِ المستعارةُ لتسير بسرعتها المتزايدة بعد الرابعة والسبعين وما خلَّفته من ضعفٍ، ومعاناةِ أمراضٍ مما جعلَها تُعِدُّ رحلتها بكل ما أعانتها عليه شبكات القلب المستعارة، والسُّكري المقيم، والشحوم البليدة، والضغط اللعوب، وما إلى ذلك فإذا بسرعتها تتزايد نحو ما أتمناه على من أحسنتُ ظنّي بعفوه أبدًا أن يكون نهاية حميدة بمنّة منه وفضلٍ، وذلك أهون ما يكون منه عليّ، وعلى كلِّ من لم يحصِهِمُ العدُّ من عباده التائبين المنيبين إلى رحاب عفوِهِ الكريم.

ومن هذه الخشية من أن يكون قد تسرّب في شعري ما ليسَ يرضَى عنّي به اللّهُ مما قد ينقلبُ لا سمح الله خطرًا مركّبًا فقد كانت هذه المقدمة، فأنا الذي أردتُ شعري بكلِّ الإخلاص والصّدق ناصحًا مخلصًا واعيًا، فكيف لا أخشى ما قد يكون تفلَّتَ منه ولو من غيرِ قصد، ولا رضا ولا أدنى إساءة متعمّدة لأحدٍ من خلقِ اللّه، اللهُمَّ إنّي أبرأُ إليكَ من كلِّ ذلك، وأستغفِرُكَ له.

اللهم إنك تعلم أنني عملتُ لكي يكونَ ما يسّرتَ قولَه عليَّ نافعًا أقدِّمُهُ رسالةً خالصةً لأمتي، ولأجيالها المتعاقبة بما أعانني جهدي المتواضع على إبلاغه، وما أبقى لي اجتهادي، وكدّي في العمل فشغلتُ عنه لكثرة المتطلبات، والأعباء، فجاء على هذا النحو الذي انتهى به إلى المطابع.

وكم تساءلت: هل أنا صادقٌ كلَّ الصدقِ في كلِّ ما قلته؟

وهل أنا راضٍ كلَّ الرضا عن كلِّ ما فعلته؟.

وهل أنا موفَقٌ مسدَّد في كلِّ ذلك؟.

وتأتي إجابتي "**لا**" و"**نعم**".

فأمّا "**لا**" فلأنني كنتُ أودُّ دائمًا أن تكون آثاري الأفضلَ في كلِّ ما كان.

وأمَّا "**نعم**" فلأنَّه منِّي، وأنا متمسك به، ولا أتخلى عن اقتناعي به، وتبقى النسبية هي الحَكَم له، أو عليه، وأنا إن لم أكن صادقًا بكلِّ ما كان، ومقرًّا بما قد أخطأت به، أو قصّرت، فلم تفُتّني النيَّةُ الحسنةُ، والقصدُ النبيلُ، والعاطفةُ الصادقةُ لمسؤوليتي كشاعرٍ آمن أنَّ الشعرَ الذي كان مني قد جاءني من غير تخصصٍ في جامعات، ولا حتى تلمذة على نابغة فيه، أو إرثٌ ممن أعلم من آبائي.

لقد جاءني هذا الشعرُ كما أُلهِمتُه، وعشتُه من غيرِ أن أفكِّرَ أن أنالَ ما قد نلتُه، ويجيء اعترافي هنا أنني لم أكن أعلم، ولا أحلم بالوصول بشعري إلى ما وصلتُ إليه، ولم أكنْ أُعطي لنفسي، ولا لشعري هذا الذي تمَّ لي بحمدِ اللّه وتوفيقه، وكم كنتُ أحسُّ بتواضعٍ أمام ما أكتبه فهو عندي مجرَّدُ شعور صادق يمليه الحبُّ حينًا، والغيرة على مصير الأمَّة أحيانًا. وسلامةِ عقيدةِ أجيالِها، ولعلَّ الدَّارسَ يجدُ صدقَ هذا فيما صدرَ لي من أعمال للطفولة والناشئة، وبخاصة في ديوانيَّ (**يقظة**)، و(**معارج**) "**الأعمال الشعرية الكاملة**" الذي صدر مع أخيه (**فتى الإسلام**) عام ٢٠٠٥ عن مكتبة عبيكان في الرياض.

صدّقوني أيها القراء الكرام، ويا أيها النقاد الأفاضل أن ما نظمته قد لا يقل أبدًا عمّا قرأته أجل عن كلِّ ما قرأته من شعر، وما يتعلق بالشعر، وأنَّ ما يُنشر لي حتى الآن لو جمع كلُّه لكان موازيًا لما قد نُشر، وليس هذا مجال فخر واعتزاز بقدرِ ما هو اعتذار عن كلِّ ما لم أُتمَّه، أو مما عشت متمنّيًا قوله وفات الأوان.

وقد جاءت قولة ولدي رفاعة لتنقل مشاعري نحو شعري إلى ما أرادَ إقناعي به، فقد قال:

ـ أتشككُّ في صدقِ المتحدّثين ومعرفتهم بشعرِك وجلُّهم علماءُ متخصصون، ونقاد مشهودٌ لهم، وهم بحمد الله كثيرا.

ـ وهل نسيت أنَّكَ الفائز ثانيًا في مسابقة "**شاعر العرب**" من بين ١٢٨٤ شاعرًا من جميع الأعمار والأقطار، وما أقرَّ به لك خمسةٌ من أهم وأبرز نقاد الشعر وأساتذته، وأنَّ الكثيرين كانوا يقدمونك لتنوّع ما قلتَه ممَّا كانَ شاملاً وجديدًا، أضِف إلى ذلك ما وُجِّهتْ لك من دعوات، وأقيمَ لك من تكريم، هل كلُّهم مخطئون في فهم شعرك، وأنَّك لستَ بشاعرٍ يستحقُّ ما أقرّوا به، وأثبتوهُ لك؟.

وتذكرت هنا غضبةَ شاعري الأثير المبدع المجدد **عمر أبو ريشة** عليَّ حينما أنكرتُ شاعريّتي أمامه، فقال بعصبيته المحببة: إنَّكَ شاعرٌ حقًّا يا مصطفى... يقولُها لكَ **عمر أبو ريشة**!!.

وتذكرت شهادةً هي عندي فوق كلِّ ما قيل عن شعري من دارسين ومعجبين مع اعتزازي، وتقديري اللامحدود بكلِّ من قال، وما قيل، ولقد جاءت تلك الشهادة بحضور عدد غير قليل من روّاد الشعر والأدب، وجُلُّهم والحمد لله من الأحياء العاملين بهديٍ من سيرته الخالدة، وأعني من هو من أهم وأنفع من جرى بيده القلم في عصره، فسطَّر ما هو من أجمع وأوعى وما قيل مُحدِّثًا وكاتبًا، إنَّه الشيخ العالم العامل "**علي الطنطاوي**" رحمه الله رحمة واسعة وغفر له، وزاد الأمّة بما أبدعَهُ وأبقاهُ نفعًا، ولقد كانت وما تزال شهادته لي الآسرة الحبيبة تزيدني رهبةً بقدر ما تزيدني فخرًا واعتزازًا...

والآن أتساءل مع من يتساءل:

لماذا هذه المقدمة الطويلة المملّة وأنا أقدّم لهذه (**البوارق**)؟!.

كثيرًا ما كان يُقال عنّي "**شاعر المطوّلات**" وكم كُنتُ أُلامُ على ذلك بالقول:

هل بقي من القرّاء من يميلون إلى قراءة مثل هذه المطوّلات؟

وإذا كان الجواب عندك بـ "**لا**" فلماذا إذن إعادة طباعتها بعد أن انقضت عقود على معظمها؟.

ويأتي الجواب أيضًا "**لا**" و"**نعم**"، فأمَّا "**لا**" فلأنني كنتُ وما أزال أطمحُ بكتابة ما هو أوعى، وأشمل، وأجمل.

وأمَّا "**نعم**" فلأنَّها منّي على أيَّة حال، ولا أنكر منها شيئًا، وليس لصالح شاعر مثلي أتمَّت تجربته الشعرية ستة عقود كانت حافلة بكلِّ أنواع الإنتاج الأدبي إعادة طباعتها لولا الشعور بأنَّ هذا أمانة، ورسالة.

أجل إن من يميلون إلى هذه الطِّوال هم قلّة نادرة، فلقد استغنت الكثرة الغالبة من قرّاء الشعر إلى وسائل اللهو الممتعة من خلال الأجهزة الحديثة الملهية الساحرة بما لها من قدرة على الجذب الكسول.

إذًا فإن هذا يا قوم ليس إلا تعبيرًا عن شعوري نحو شعري بعامة، ونحو هذه القصائد الطّوال المختارة من بين أخواتِها بدءًا من تسميتِها، وانتهاءً بالتعريف، أو التذكير في مناسباتِها.

وهل هي بوارق عاصفة حقًّا كما أسميتُها!.

قد يكونُ في هذا شيءٌ من المبالغة، لكنها لا تُلغي أهمية ما قصدت إليه...

لكن هل أنا بعد هذا متوقف عن كتابة مثل هذه المطولات؟

الأمرُ نسبيٌّ أيضًا، فكلُّ موضوع يقتضي الإطالة فأنا لها، مع أن هذه "**المطولات المغربَلةِ**" تكاد تُغني عن الكثير مما تقتضيه المطوّلات الحديثة، فلقد

جاءت مستوعبة لكلِّ ما يتمنى شاعر أن يقوله في مطولاته فكلُّ ما جدَّ، وما يجدُّ في حياة هذا العالم وبخاصة منه عالمنا العربي إنَّما هو نتيجة البعد عن اللّه تعالى، وعمَّا فطرَ النَّاسَ عليه، فكيفَ إذا سُخِّرتْ كلُّ قوى الإبادةِ المتطوّرةِ كلَّ آنٍ للقضاءِ على هذه الفطرة المنقذة أبدًا.

ومن المفيد هنا أن نشير إلى أنَّه لي إلى جانب هذه المطولات قصائد متواضعة في حجمها هي أضعاف هذه المطولات، وحسبكم منها قصائد "**تسبيح شاعر**" الذي استمرت إذاعته من إذاعة الرياض سنوات، وديوان "**نجاوى**" الصادر عن وزارة الأوقاف الكويتية سنة ٢٠١٤م، وغير ذلك مما كان لي من موشّحات ومسرحيات أطفال، ومن عشرات المقطوعات التي تُختصر ببيت واحدٍ أو بيتين أحيانًا، أو ثلاثة، وما هو دون السبعة أبيات وذلك في مختلف الموضوعات، وهي لا تقلُّ عندي أهميَّةً عن هذي البوارِق الطِّوال.

وأستسمح القرَّاء الكرام لأدافع عن نفسي، وعنها، فأنا أحس بأنني مُطالب به كثيرًا، فأقول (وهذا من حقّي وحقِّكَ أنْ أبيِّنَه):

إنَّ هذه القصائد أيها الأحبّة جاءت حينما حانت ولادتها مستوجِبةً لديَّ أن تكون طِوالاً، وجاء نشرُها الآن لبُعدِ العهدِ، ولأهمية ما تضمَّنتهُ.

خذوا مثلاً قصيدة "**غزو العالم**" إذ لا مجال عندي، ولا مفرّ من أن تكون كما جاءت، ولا أزال أجدُ نفسي مُصرًّا على كلِّ كلمة فيها، ولا أرى لأحدٍ أن يُحاسبني على طولِها، كما ليس لأحد أن يُحاسب الزَّهرة عن تفتُّحِها، ولا أوانه، ولا على عطرها، أو ألوانها، فمن لم يُعجب منها بما هي عليه فليس عليها ذنب في ذلك، ويبقى حسب الزهرةِ ما حملته من الجمالِ، ومن المعاني التي يرمز إليها كل ما كان منها.

ومثلها قصيدة "**هذان أنت**" وأخواتها في ديوانيَّ "**محمّديَّات**" و"**عذرًا رسول الله ﷺ**" الصادر عن وزارة الأوقاف الكويتية، فقد ولِدت مع ولادة الأيام الأولى من القرن الخامس عشر الهجري لتناسب هذا العصر، وكم هي كثيرة المدائح النبوية لشعراء، ومتشاعرين لم تكن محاولاتهم كما ينبغي أن تكون معبرةً عن عظمة رسول الله ﷺ ورسالته، ولن أتوقف هنا عند الشطط والمغالاة بما اشتمل عليه الكثير حتّى مما اشتهر منها، فكانت "**هذان أنت**" مشيرة إشارات معبرة وملهمة وصادقة عن سيرة خير خلق الله وأعظم دروسِ هجرتِه الخالدة.

ومثل هاتين قصيدة "**يا صبح يا صبح**" وبعضُ أخواتها، فهي الوحيدة التي جاءت على فترات متباينة لمعالجتها أمورًا كثيرة كانت تجدُّ دائمًا ممَّا كان على هذه القصيدة أن تستوعبه.

كما كان لقصيدة "**ماذا أعدد**" ما كان لمثيلاتِها، مما ذُكر بعضه.

أمَّا قصيدة "**لماذا**" فقد نُظِمتْ في أثناء الحرب الأهليّة الطاحنة في لبنان، وكم تردَّدت في ذكر هذه الحادثة الصاعقة الصادمة، حينما سئل أحدُ المارّة على أحد الحواجز في بيروت عمَّا يحمل في كيسٍ مريبٍ كان يحمله، وبعد التفتيش تبيَّن أنَّ الكيس يحتوي على ١٦٣ عضو ذكري...

أجل... فلم يكُن لدي بدٌّ من تصديق هذه الحادثة ومثيلاتها، فجاءت "**لماذا**" بكلِ ما فيها من أسى، وسوء مصير تردَّى له أبناء هذه الأمّة الممزَّقة بعد وحدة، وتوحيد...

أما قصيدة "**حال المسلمين**" التي ولدت في أثناء فترة ولاية الأمين العام للأمم المتحدة الذي كان عربيًا في ولادته، وليته لم يكن، ويكفي هنا ذكر مأساة

من أُبعدوا من أعظم الرجال وتُرِكوا إلى أفتك وأقسى ما يكون من العراء في مرج الزهور، ناهيكَ عن سكوتِه عمَّا كان يحدُث لأهل فلسطين من توحشٍ وظلمٍ وإنكار حقوق.

خلاصة ما أودّ أن أنتهي إليه حول هذه "**البوارق**" أنّها للدارسين المتطلّعين إلى أن تكون لهم العبرة مما كانت عليه أحوال هذه الأمة بما هو أقرب للصدق والواقعية التي دأبت هذه القصائد على رسمه وتوثيقه، ناهيكم عمّا لم يزل في هذه الأمّة من جمرٍ تحتَ الرَّماد سيشبُّ إذا وُفِّقَ بقائدٍ حقٍّ لهذه الأمَّة.

وأعترفُ ولا أدّعي أنني قد قلت فيها كلَّ ما كان يمكن أن يقال مما قالته، ويبقى حسبها وحسبي منها أنها حاولت أن تأخذ دورها الوسط المعتدل بين سيول قصائد الشتم، واليأس، والتيئيس، والتشاؤم التي اكتظَّت بها دواوينُ كثيرة لمشاهير وغير مشاهير، من دون أن تدع بارقة أمل للأجيال، ولا لِما هذه الشعوب من قدرات إذا وُفِّقتْ بالقيادات الحكيمة الراشدة، فكان الكثير من تلك القصائد أقرب ما تكون إلى "التهويش" و"التشفي" منها إلى جلال الشعر وهيبته وأهمية رسالته التي أزعمُ أنني لم أغفلْ عنها قط.

إن الباحث فيما وراء المعاني المباشرة للكلمات لواجدٌ في هذه المطوّلات **البوارق** المغربِلة المغربَلة ما يزيد عما قاله اليائسون الميئسون المتخاذلون في حقِّ ممن صَرَّفوا ويصرّفون مصائر شعوب هذه الأمّة، حتى وصلتْ إلى ما وصلتْ إليه مما لم يعُدْ خافيًا على أحدٍ أبدًا.

ومن يقرأ قصيدة "**يا صبح يا صبح**" يجد منها عنف القول، وحِدَّة الألم، وتصويرِ بؤسِ الحال، ومرارة الحرقة على ما آلت إليه حال هذه الأمّة ممَّا قد يفوته أن يراه في غيرها، وإن كان مبعثُ كلِّ ذلكَ واحدًا، ومع ذلك فقد جاء في

ختام تلك القصيدة وهي الأطول والأشمل كما جاء في ختام غيرها، ما يبعثُ على التفاؤل الحقِّ في مستقبل هذه الأمّة فجاءَ قولي فيها:

مهما وهى ونأى عنكَ الضياءُ بدا ... رغمَ الظَّلامِ شعاعٌ يهتِكُ الحُجُبا

إني أرى في رؤى الآتين ألفَ سَنًا ... وألفَ شمسٍ تُمنِّي بالهدى العَربا

فيا رؤى الجيلِ بوركتَ الرَّجاءَ، ويا ... ليلَ الخفافيشِ إنَّ الصُّبحَ قد قَرُبا

وليسَ لي فيما كتبته، وما نظمته، وما انتهيتُ إليه إلا كما لمجتهد فاته ما فاته فلم يبلغ كلَّ ما قد تمنَّاه، وما أرادَه، وما يُراد منه، وله من كمال، فالكمال المُطلق للّهِ الواهبِ كلَّ شيء، والميسِّرِ لمخلوقاته جميعًا ما قسم لها، وخلقها لأجله...

ولو تمَّ لكلِّ إنسانٍ، أو لكلِّ مجتمعٍ ما تمنّاه لكانت حياتُنا غيرَ هذه الحياة، ولَتمنينا من أعماقنا العودة سريعًا إلى الحياة التي قدَّرها لنا خالقنا العظيم، وفطَرَنا عليها، وقدَّرنا لها، فسبحانه إنّه العليم بما خلق، والحكيم بما حكم وبما قدَّر، وقَسَم.

وله الحمد والشكر على كلِّ ما وهب وعلَّم...

والعُذر مرجوٌّ من الجميع عن كلِّ خطأ أو تقصيرٍ في كلِّ ما قد فات، وما هو آتٍ، والحمدُ للّه أولاً وآخرًا...

القاهرة ٦ / ١ / ٢٠١٧ **مصطفى عكرمة**

العاصفاتُ بوارقُ الآمالِ

العاصفاتُ تهبُّ من أقوالي
منها تلوحُ بوارقُ الآمالِ

لأكادُ أُبصرُ بعضَ ما تهمي بهِ
سيلاً سيجرفُ عُسْرَ كلِّ مُحالِ

ما شطرةٌ إلّا وفيها من دمي
قبسٌ ينيرُ الدّربَ للأجيالِ

القاهرة ١٤٣٨/٧/٢٣
٢٠١٧/٤/٢٠

مــرآتــي

هــذي "مــشاعرُ" مُهجــةٍ ناجَتْــكَ ربَّــا فاطِــرا
حاشــا لجــودِكَ ربَّهــا ألاَّ تــراكَ الغافــرا
ألهَمْتَنيهــا قــادرًا وبهــا أتيتُــكَ شاكــرا
وحرصــتُ فيهــا أنْ أكــو نَ بمــا أمــرْتَ مُجاهِــرا
أرســلْتُها رغــمَ الأســى للبائــسينَ بــشائــرا
وإلــى الجهــادِ أردْتُ منــ ــها أن تُثيــرَ مــشاعِــرا
فتــرى الوفــودَ إلــى الــشها دةِ فتيــةً وحرائــرا
فالــشِّعرُ أعظــمُ مــا يكــو نُ إذا تمــرَّدَ ثائــرا
حــسبي بــأنِّي لــم أشــأْ هُ للطُّغــاةِ منابــرا
وبفــضلِ ربّــي لــمْ أكــنْ يومًــا بــشعري تاجــرا
صــدقُ الــشُّعورِ مــصادري عنهــا ترانــي صــادرا
إنّــي اجتَهــدْتُ لكــي أظــلَّ كمــا برانــي شاعــرا
والعــذرُ عمَّــا فــاتني أنْ كُنــتُ عبــدًا قاصــرا

شعري وقومي

شـعري صـدى «مليـارٍ» مُـسْلِمْ، لـمْ يَلْـهُ يومـاً أو يُـشَرْذَمْ
نـــادى بعـــزَّتِهِمْ جميعـــاً لـــم يَخُـــصَّ، ولـــمْ يؤقلِـــمْ
أوَمَـــا هُمـــو جَـــسَدٌ؟ ومـــا عُـــضْوٌ بـــه إلاّ مُتمِّـــمْ!
جَـسَدٌ أنـا منـه اللـسانُ فكيـف أصْـمِتُ، أو أكتِّـمْ!
إن كـــان شـــأنُ ســـواي بعثـــرةً فـــشأني أَن أُملِـــمْ
ولعـــزّ أقـــصى المـــسلمين وَدِدتُ روحـــي أن أقـــدِّمْ
مـــا ضـــرّني أنـــي الموحِّـــدُ إن يكـــن ألـــفٌ يُقـــسِّمْ
فأنـــا أنـــا المليـــارُ مـــسلمْ أنعِـــمْ بوحـــدتنا وأكـــرِمْ!

*****

شـــعري هـــو الإلهـــامُ مـــن ربـــي... ومـــا إلاّه مُلهِـــمْ
أكرمتُـــهُ مـــن أن يَمُـــرَّ بـــدار لَهْـــوٍ.. أو يُحـــوِّمْ
وجلْوتُـــه فغـــدا المجلجـــلَ في الخطـــوبِ ولـــم يُغَمغِـــمْ
عـــشقَ الجهـــادَ فلـــمْ يكـــن يرتـــدُّ في هَـــوْلٍ، ويُحجِـــمْ
لـــم يُغْـــرِهِ عمَّـــا أراد لقومـــه طَمَـــعٌ بموسِـــمْ
كـــان الحُـــداءَ لمجدهـــمْ.. ولـــصحْوهمْ كـــان المدمـــدِمْ
لـــئن اســـتهان المرجفـــون بـــأمرهمْ.. فهـــو المعظِّـــمْ

في كـلِّ حـالٍ هـمْ بـشعري.. فهـو ملتـزِمٌ.. ومُلـزِمْ
كـان النـذيرَ.. وكـان بُـشرى النـصْرِ فـيهمْ، والمتـرجِمْ
لا. لـم يُهـادنْ ظالمـاً يومـاً ولـم يـرأفْ بمجـرِمْ
إن مـرَّ يـومٌ لـمْ يُـشيِّدْ لـم يكـنْ أبـداً ليَهْـدِمْ
عـاش الأمـينَ علـى رسـالته، وكـان بهـا المعلِّـمْ

*****

شـعري أمـاني كـلِّ مـسلمْ لـم يَلْـهُ يومـاً أو يُـشرذِمْ
إن لـم يحقِّـقْ مـا أراد فحـسبه أن كـان يُلهِـمْ
مـا كـان أسـمى الـشعرَ إن غـنّى الجهـادَ، ولـمْ يُحمحِـمْ!
في كـلِّ شـطْرٍ منـه لـي روحٌ علـى قـومي تُـسلِّمْ
وبكـلِّ شـطْرٍ مقلـةٌ سَـهرتْ علـيهم لـم تهـوِّمْ
وبكـلِّ شـطْرٍ لـي يـدٌ لتـرُدَّ عـنهمْ كـلَّ مُـؤْلِمْ
مـا صـفقّتُ يومـاً ولا امتـدّت لطـاغٍ راح يظلِـمْ
قـوْمي بـشعري روحُـه ولِمـا يُعـانون المترجِـمْ
تَعْـساً لـه إن لـم أجِـدْهُ كلَّمـا اعوجّـوا يقـوِّمْ!
أنـا للجهـادِ وهبتُـه وبنـصرنا لأكـادُ أجـزِمْ
لا ضـيرَ مـن حُجُـبِ الظـلامِ فبعـدَه فجْـرٌ سيبـسِمْ
فجـرٌ بـه الـشَّرْعُ الحنيـفُ يكـون للدُّنيـا منظِّـمْ

سـيَّانَ فيـه النـاسُ مـسلِمُهمْ ومـن هـو غيـرُ مـسلِمْ
بالرحمـةِ الكبـرى يـسوسُ النَّـاسَ لـيس بـه مُخَـصِّمْ
فإليـه أقـدِمْ مطمَئنَّـاً أيهـا الإنـسانُ أقـدِمْ
لا. لـن تـرى شـرعاً سـواه لكـلِّ مـن جُرِحـوا يُبَلْـسِمْ
هـو وحـدَه مـن سـوف يغلِـبُ كـلَّ طـاغوتٍ ويهـزِمْ

*****

يـا شـعرُ حـسبُكَ أن تكـون كمـا أردتُـك لـم تؤقلِـمْ
فـابقَ الأمـينَ علـى الرسـالةِ، لا تَمَـلَّ، ولا تـشرذِمْ
لا كنـتَ يـا شِـعري إذا أغفلـتَ يومـاً شـأنَ مُـسلِمْ

*****

يا شعــر

مــا زلــتَ تُتعِــبُ مــصطفاكَ وتتعــبُ ... يــا شــعرُ قُــلْ لــي: أيــنَ مِنــكَ المهــربُ؟!
مـــن قبـــلِ تكـــويني أراكَ مُعـــذِّبي ... يـــا ليـــتَ بعـــد المـــوتُ لا أتعـــذَّبُ
إن جئتنـــي كنـــتَ المهـــيمنَ، أو تَغِـــبْ، ... فـسِوى حـضورِكَ مـا لنفـسي مطلـبُ
مـــا أنـــت إلاّ الـــداءُ ذوّبنـــي أســـىً ... ولأنـــتَ لـــي يـــا شـــعرُ أنـــتَ مُطبِّـــبِ
زعمـــوا خلـــودي فيـــكَ، أيّـــةُ قيمـــةٍ ... لغـدٍ، ويـومي مثـلُ أمـسي مُجْـدِبُ؟!
مـــاذا يفيـــدُ العطـــرُ مـــن قـــد غُيّبِـــوا ... إن رُحـــتَ تـــسكبُه علـــى مـــن غُيِّبُـــوا؟!

*****

يـــا شـــعرُ حبُّـــكَ في دمـــي متجـــدّدٌ ... وبـــرغمِ مـــا ألقـــى فأنـــتَ مُحبَّـــبُ
أضـــدادُ مـــا في عـــالمي بـــكَ عـــشتُها ... حتـــى يظـــنَّ بـــأنني أتذبـــذبُ
وأنا ـ ويـشهـدُ مـن بـراني شـاعـراً ـ ... إلاّ لمجـــدِ الحـــقِّ لا أتعـــصَّبُ
نفـــسي مـــن الـــدُّنيا كمـــا ألفيتَنـــي ... لا شـــيءَ يُرضـــيني بِهـــا، أو يُغـــضِبُ
حـــرُّ الـــضميرِ أعـــيشُ فطـــرةَ خـــالقي ... دينـــي الحقيقـــةُ، والحيـــاءُ المـــذهبُ
ولكـــلِّ شـــيطانٍ أراك تفـــرُّ بـــي ... وبكـــلِّ مـــا تأبـــاهُ نفـــسي ترغـــبُ
تهـــوى الغرابـــةَ، والخيـــالَ، وتزدهـــي ... بهمـــا... وإنِّـــي منهمـــا أتهـــرّبُ
ولأنـــتَ لـــولا الحـــبُّ، لـــولا نـــارُه ... مـــا كنـــتَ يومـــاً في المـــسامعِ تعـــذُبُ
وأراكَ إن أرســـلتُ فيـــك صـــبابتي ... سَـــخِرَ المـــشيبُ، ولامَ فيـــكَ الأشـــيبُ

وإذا كتمتُ صبابتي ألْفيتَني قَلِقاً على جمراتِها أتقلَّبُ
والحبُّ أينَ الحبُّ؟ أينَ نعيمُهُ إن لم نكنْ نشدو به، ونشبِّبُ!!
لم تعرفِ الأيامُ قصَّةَ عاشقٍ إن لم تكنْ بدَمِ البلاغةِ تُكتَبُ
والحسْنُ في كلِّ الوجوهِ أحبّهُ وأراهُ يُطربُني، ومني يطربُ
لكنَّ وجهي شطْرَ وجهٍ إنْ مشى كلُّ الوجوهِ عليَّ منه تغضبُ
إن قلتُ غيرَ الحقِّ عشتُ مُعَذَّباً أو قلتُ حقّاً قيل إني «أجدبُ»
وإذا نصَحْتُ فلستُ أُبقي صاحباً وإذا صدقتُ يقالُ إنِّي أكذبُ
وإذا ذكرتُ الظالمينَ وظلمَهم قال الطغاةُ بأنني مُتحزِّبُ
أُصْلَى على الأقوالِ ألفَ جهنّمٍ من لفحِ أدناها الجبالُ تُذَوَّبُ
وإذا صَمَتُّ فألفُ بركانٍ دمي لِتُفَجّرَ الدنيا غدتْ تتأهَّبُ
والعدلُ إن أظهرتُ حاجتَنا له قالوا تراثيُّ الخيالِ «مقْولَبُ»
وإذا عدَلْنا ساعةً عادَ الأسى فرَحًا... وكلُّ قفارِ قومي تخصِبُ
وتراثُنا الغالي أَما أغنى الورى ولقد قَلاهُ بنو أبي وتأجنبوا
فلمن سأشكو حالَه، أو حالهم ومن الذي أبكي عليه وأندبُ؟
ولمن أبوحُ بما تعاني أمتي من فرقةٍ منها العجائب تعجبُ؟!
فُطِرت مُوَحَدَةً، ووا أسفي لها كم ذا توحّدها يَعِزُّ، ويَصْعُبُ!
لأكادُ أذوي حسرةً لمصابها هيهات آناً عن شعوري يَغربُ!!
من ذا أرجّيه، وأندبهُ لها شقيت ظنوني واستبدَّ الغيهبُ

وإذا كـشفت عـن اليهـود ضـلالَهم قـالوا: أصـوليُّ الهـوى متعـصِّبُ
كـانوا ومـازالوا الفـساد، وكـم طغـوْا وتمـسكنوا وكـأنهم لـم يُـذنِبوا
لـم يـصلبوا جـسَدَ المـسيح، وإنمـا روحُ المـسيح بكـلِّ آنٍ تُـصلبُ
ولـو أنهـم بالعـدل يومـاً حوكمـوا لرأيـتَ أن فنـاءَهم يتوجَّـبُ

*****

والـدِّين إنْ أجهـرْ بمـا هـو يوجِـبُ يغـضبْ دعـيُّ العلـمِ والمترهِّـبُ
وإذا صَـمَتُّ فـألفُ ألـفِ مـصيبةٍ تأتيـه ممّـن باسْـمِهِ «يتثعلـبُ»
لـم يبـقَ منـه رغـمَ مـن نـسِبوا لـه إلاّ شـعاراتٌ طغـت، و«تمذهُـبُ»
وكـأن مـن عملـوا علـى إحيائـه عملـوا علـى إفنائـه وتـألبوا
مـن ذا أُقـرُّ، ومـن ألـوم ومـن تـرى أَهـدى؟! ومـن أُهـدى بـه، أو أشـجبُ؟!
لـم ألْـقَ إخلاصـاً، ولـم أرَ حكمـةً لـو أخلـصوا لتوّحـدوا، واسـترهِبوا
والـدِّينُ ديـنُ الله عـصمةُ أمرنـا أأظـلُّ عمّـا نابـه أتنكَّـبُ؟!
مـن لـم يحـبَّ أخـاه لـيس بمـؤمنٍ قـولٌ لـه كـلُّ الفعـال تُكَـذِّبُ
أأظـلُّ عـن هـذا بعيـداً، غـافلاً وأنـا أحـسُّ بـأنني لَهُـمُ الأبُ؟!
يـا شـعر قـل لـي : أيـن أيـن المهـربُ ولمـن ترانـي إن كتبـتُ سـأكتبُ؟!

*****

يـا شِـعرُ حـالاتٌ وحـالاتٌ أنـا وتكـادُ بالحـسراتِ نفـسي تذهـبُ
في كـلِّ حـالٍ ألـفُ ألـفِ محاسـبٍ ولألـف ناحيـةٍ بـآنٍ أُسحـبُ

لــولاك منهــا كــان قلبــي خاليــاً ... مــاذا أقــولُ وأنــتَ أنــتَ مُــسبِّبُ؟!
مــا كــانَ لــي ذنــبٌ بمــا عــذّبتني ... أتــراهُ ســرَّكَ أنــهُ بــكَ يَعــذُبُ؟!
عذّبْ كما تهوى . فديتكَ . واستبحْ ... نفــسي، وخــذْ عمــري فأنــتَ محبّــبُ
يكفيــك أنــكَ عــشت صــدقَك ســاعةً ... وســواك أمــسى ديــنُهم أن يكــذبوا
لا ضير مـن غـضب الطغـاةِ فكنْ لهـمْ ... رصــداً... فحقُّــكَ أن تقــول، ويغــضبوا
كــن ثــائراً، نزِقــاً، غــضوباً، عاصــفاً ... وكــنِ النــذيرَ إذا تمــادى المــذنبُ
لا خيــرَ في شــعرٍ يُهــادِنُ ظالِمــاً ... وَيــذِلُّ جبهتَــه العليــةَ مكــسبُ
كــم ذا أغــرّ الــصفحُ مــن قــد أذنبــوا ... والعــدلُ كــلُ العــدلِ لَــوْ هُــمْ عوقبــوا

*****

يــا شــعر لــو أحببــتُ مثلَــكَ مخلِــصاً ... لَهَفــا إلــيَّ وجــاء يــسعى المنــصِبُ
مــا جــاء شــطرٌ منــك إلاّ خِلتنــي ... بأشــدِ آلام المخــاض أُعــذَّبُ
في كــل شــطرٍ منــك أســكبُ مهجتــي ... ويَــسُرُّ روحــي أنهــا بــكَ تُــسكبُ
لا تــرهبنَّ وكــن لعهــدك مخلِــصاً ... فلأنــتَ بــالحقِّ الأعــزُّ الأغلــبُ
ســيزول مــا فــوق البــسيطةِ راغمــاً ... ولــسوف يبقــى خالــداً مــا نكتــبُ

*****

يــا شِــعرُ عفــوكَ إن عتِبــتُ هُنَيْهــةً ... لــم يَــدْرِ صَــفوَ الحــبِّ مــن لا يعتــبُ
ســأفِرُّ مــن كــلِّ الأمــاني هاربــاً ... ولكــم يَلــذُّ إليــكَ منــكَ المهــربُ!

*****

وطني وطفلي

مــاذا أقــولُ لطفلــي حــينَ يــسألُني ... عما يـرى مـن فنونِ القتلِ في وطنـي!

ومـــا يـــشاهدُ مـــن ذلٍّ، وتفرقـــةٍ ... ومـــا صـــنعنا بأيـــدينا مـــن المحـــن!

مــاذا أقــول؟ وهــل أبقيــتُ مــن كَــذبٍ ... إلا كَـــذَبتُ عليـــه كـــي يـــصدِّقني!

بـــالأمسِ علَّمتُـــه أنَّ الخلـــودَ لنـــا ... وأننـــا خيـــرُ خلـــقِ اللهِ في الـــزمنِ

وأن كـــل فتـــىً منّـــا لـــه قـــيمٌ ... يهـدي بهـا وحـده الـدنيا إلـى الـسُنَنِ

وأنّنـــا مـــن أعـــارَ الكـــونَ بهجتَـــه ... فـالكونُ مـن هَدْينـا بالنعميـاتِ غنـي

لـم نُبـقِ يومـاً بـه ظلمـاً علـى أحـدٍ ... ولا تركنـــا بـــه حكمـــاً لمفتـــتَنِ

بـالأمسِ! واخجلـي مـن أمسِ وانهمرتْ ... مـــن مقلتـــيَ أدمـــعٌ كـــادتْ تحرّقنـــي

مـــاذا أقـــولُ لطفلـــي، كـــلُّ مـــسألةٍ ... ممـــا يـــسائلني عنهـــا تمزِّقنـــي!

مـــاذا أقـــولُ! وقـــولي عنـــده ثقـــةٌ ... فمـــا رأى قبـــلُ منـــي مـــا يُعيرّنـــي!

مـــاذا أقـــولُ وعينـــاه تلاحقُنـــي ... لمّـــا أكـــتِّمُ دمعـــي حـــينَ يـــسألني!

مـــاذا أقـــولُ؟ وأيُّ القـــول يـــشفعُ لـــي ... ولا يـــشاهدُ إلا مـــا يكـــذِّبني!

مـــاذا أقـــولُ وإســـرائيلُ مـــا بلغَـــتْ ... تعـدادَ عُـشرِ ذوي الألقـابِ في وطنـي!

تـــسوقُنا كيفمـــا تهـــوى وتـــصرفُنا ... كمـــا يُـــصرَّفُ رَتْـــلُ النـــوقِ بالرَّســـنِ!

لـم تـشكُ نفـسٌ بهـا ظلمـاً وضـائقةً ... ولـيس فينـا سـوى عـانٍ، ومُمْـتَهنِ

تــزدادُ في كــلِّ يــوم قــوةً، وغنــى ... ونحــنُ نغنــى بــألوانٍ مــن الفــتنِ
هــمُ الــشتيتُ، وهــمُ بــالأمسِ شِــرْذمةٌ ... مبعثــرونَ... وهــم أخــزى بنــي الــزمنِ
وما سوى الحقدِ من دينٍ قد اعتقدوا ... وحيثمــا وُجــدوا هُــمْ مــصدرُ العَفــنِ
ونحــنُ أكــرمُ مــن كانــتْ لــه سُــننٌ ... نحيــا علــى الــذلّ، والتقتيــل، والــضَّغَنِ
مــشتَّتون بــلا نَهــجٍ، ومُعتقــدٍ ... نــسيرُ مــن وهَــنٍ مُخْــزٍ إلــى وَهَــنِ
أخــوَّةُ الحــقِّ صــارت ألــفَ تفرقــةٍ ... وكــلٌّ تفرقــةٍ بالعــارِ تــدمَغني
في كــلِّ بيــتٍ خلافــاتٌ تهدِّمــه ... فــلا تُحِــسُّ بــسكنى داخــلَ الــسَّكنِ
والحــزبُ تلقــاهُ أحزابــاً تنافرُهــا ... قــد ضــيَّعَ الحــقَّ بــين الــسِّرِ، والعَلَــنِ
أهــيمُ في ألــفِ دنيــا حــين يــسألُني ... كأنَّمــا ألــفُ تِــنّينٍ يطــاردني
بحــرٌ أرى موجَــه العــاتي تقــاذَفَني ... وكــلٌّ ذرةِ مــاءٍ منــه تنهــشني
مــاذا أقــولُ لــه والــصمتُ أحــسبهُ ... بــألفِ ألــفِ ســؤالٍ منــه يُمطرنــي!
ألــوذُ منــه بمــا حُفِّظــتُ مــن عِبَــرٍ ... مــن ســالفِ الدَّهــرِّ ألقــاهُ يلاحقنــي
أليس أغنــى بنــي الدُّنيــا بنــو وطنــي ... ألــم يكونــوا دعــاةَ الحــقِّ في الزَّمــنِ!
أمــا رســالاتُ ربِّ العــرشِ قــد نزلــتْ ... بــأرضِ قــومي، أليسوا مصدرَ الحَسَنِ!
مــا لــي أرى يــا أبــي؟! وارتــدَّ يرحمنــي ... لمــا رأى الــدمعَ، والآهــاتُ تخنقنــي
ورحــتُ أحــضنُ طفلــي أبتغــي هربــاً ... ممــا تحــرّك في قلبــي مــن الحَــزَنِ
ودسَّ رأســاً بــصدري خِلتُــه جــبلاً ... وصــمتُه خِلْتُــهُ جــيلاً يُحــاكمني
وكــلُّ طفــلٍ لــه شــكٌّ وأســئلةٌ ... وإن أدنــى ســؤالٍ منــه يــصعقُني

فأحسب الهَمْسَ زلزالاً، وعاصفةً والتَّمتماتُ على البركانِ تُقعدني
غالبتُ دمعي، وغالبتُ الأسى حذراً على بقيةِ أحلامٍ تراودني
وكدتُ والهفي أنهدُّ منطفئاً لولا السؤالُ الذي يا قومُ فجّرني
هـ «الألفُ» حزبٍ أبي ماذا يوحِّدها وكلُّ حزْبٍ بما أبداه يُفرحني!
لكننا لم نجدْ من يومِ أنْ وُجِدوا حزباً أراه لِما أرجو يُقرّبني
كلٌّ بما عنده تلقاهُ في فرحٍ وكلُ حزْبٍ سواه ليس بـ «الوطني»
إذا التقينا على أمرٍ يَجُدُّ به من التمزقِ أهوالٌ تمزقني
قد شِبْتُ من هَوْلِ ما ألقاه في وطني وقد هَرِمْتُ ولم أشبعْ من اللبنِ

*****

يا أيها الناسُ... يا قومي... ويا رَحِمي ماذا أقولُ لطفلي حينَ يسألني؟!
خذوا حياتي، خذوا أمسي، وحلوَ غدي وجاوِبوني لماذا هكذا وطني؟!

*****

ربّي نسيناكَ فازدادت مصائبُنا ولو هُدينا لَعُدْنا قادةَ الزَّمنِ
بما اقترفناهُ قد أدّبتَنا كرماً فالذنبُ والذلُّ مرهونٌ بمُرتَهنِ
لا تُشْقِ أجيالَنا ربّي بشقوتنا رحماكَ رحماكَ يا من أنتَ تسمعني
أعِدْ لنا بهداكَ الحقِّ عزَّتنا لعلَّ أجيالنا يوماً تصدِّقني!!

سباعيات الغربلة

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا علّنـــا نرجـــعُ يومًـــا مؤمنينـــا
غربلينـــا كَثُـــرَ الخبـــثُ بنـــا وتحزَّبنـــا فعُـــدنا مـــشركينا
غربلينـــا عظُمـــتْ فينـــا الأنـــا وهـــي مـــن أخطـــرِ مـــا فيـــهِ ابْتُلينـــا
مـــا تـــرَيْ أنَّـــا غـــدوْنا شِـــيَعًا جعَلَـــتْ أهواءَهـــا ربَّـــا، ودينـــا!
غربلينـــا ذُلُّنـــا مـــن كثـــرةٍ ولَكَـــمٌ ضـــلَّ، وذلَّ الأكثرونـــا!
واطمئنّـــي إنَّ غَـــدَوْنا قلَّـــةً آثـــرتْ إرضـــاءَ ربِّ العالمينـــا
كـــم رأينـــا قلَّـــةً قـــد غلَبَـــتْ حينمـــا كـــانَ بنوهـــا مُخلـــصينا

*****

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا غربلينـــا قـــلَّ فينـــا الـــصادقونا
غربلينـــا وافـــضحي مـــن أُلِّهـــوا ولكـــي نخلـــصَ مـــنهم غربلينـــا
غربلينـــا أســـقطي، مـــن أمّتـــي كـــلَّ مـــن كـــانوا دعـــاةً ماكرينـــا
تـــاجروا بالـــدِّينِ وانقـــادوا لمـــنْ هـــم علـــى الـــدِّينِ أشـــرُّ الحاقـــدينا
أســـقطي كـــلَّ مُـــضلٍّ علمُـــهُ لـــم يكـــنْ إلا ليُرضـــي الحاكمينـــا
أســـقطي كـــلَّ ذليـــلٍ خـــانعٍ كـــانَ للطَّـــاغوتِ بالـــذُلِّ مُعينـــا
غربلينـــا أســـقطي مـــن لا يعـــي أوْ يعـــي وهـــوَ حليـــفُ الظَّالمينـــا

*****

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا وخُـــذي مَـــنْ بالأعـــادي يحتمونـــا

غربلينـــا كثُـــرتْ أعـــداؤنا وبمـــا يفتِـــكُ فينـــا أغرَقونـــا

قـــد جهلنـــا نَفْعَنـــا مـــن ضُـــرِّنا وبمـــا لـــيسَ بِمُجْـــدٍ قـــد رضـــينا

غربلينـــا عـــزَّ مـــن يجمعُنـــا وإلـــى الإرهـــابِ يُنمـــى المُتَّقونـــا

الخلافـــاتُ طغَـــتْ مـــا بيننـــا وعلـــى لا شـــيءَ صـــرنا القاتلينـــا

لـــم يَعُـــدْ في أمّتـــي معتـــصِمٌ وتناســـينا جهـــادَ الفاتحينـــا

أمرُنـــا أمـــسى لمـــنْ مزّقَنـــا فغـــدونا نهبـــةً للطامعينـــا

*****

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا غربلينـــا مـــن فنـــاءٍ تُنقـــذينا

غربلـــي لا ترحمـــي مـــن فـــسقوا إنَّ شـــرَّ الحُكّـــمِ حكـــمُ الفاســـقينا

كيـــفَ تبنـــي أمَّـــةٌ أمجادَهـــا وبنوهـــا شـــيعٌ مـــصطرعونا!

غربلـــي لا ترحمـــي مـــن همُّهُـــمْ أن يعيـــشوا مـــن حـــرامٍ مُتخمينـــا

وخُـــذي مَـــن هجـــروا أوطـــانَهُمْ ليعيـــشوا خـــدمًا للمترفينـــا

عَمَـــروا أرضَ الأعـــادي، وغَـــدتْ أرضُـــهُمْ تـــشكو ولا تلقـــى البنينـــا

غربلـــي مـــن نـــالَ علْمًـــا، وارتـــضى علمَـــهُ وقفًـــا لنفـــعِ الأبعـــدينا

*****

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا وخُـــذي منّـــا جميـــعَ المُفـــسدينا

وخُـــذي كـــلَّ دعـــيٍّ فـــارغٍ همُّـــهُ بـــالمكرِ ســـلبُ الغافلينـــا

وخُـــذي كـــلَّ غنـــيٍّ ممـــسكٍ كـــانَ بالبـــذلِ لـــدى العـــزِّ ضـــنينا

غربلينـــا وخُـــذي كـــلَّ فتـــىً لـــم يكُـــنْ في صـــفوفِ الطّامحينـــا

وخُـــذي كـــلَّ فتـــاةٍ لـــم تعُـــدْ تحـــسبُ العفَّـــة إرثَ المُتَّقينـــا

غربلينـــا غلبَـــتْ أهواؤنـــا وغـــدوْنا لهوانـــا عابـــدينا

غربلينـــا علّمـــي أجيالَنـــا أنَّمـــا العـــزَّةُ تـــأبى أن نهونـــا

*****

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا آنَ أنْ نخلُـــصَ ممـــن ضـــلَّلونا

غربلينـــا غربلـــي أخلاقَنـــا ودعينـــا للـــذي أهـــدى دعينـــا

غربلـــي لا ترحمـــي مـــن فُتِنـــوا وارتـــضوْا غيـــر ســـبيلَ المُـــصلِحينا

غربلينـــا حبطـــتْ أعمالُنـــا وتنافـــسنا بمـــا كـــانَ المُـــشينا

ذكّرينـــا كيـــفَ كُنَّـــا مُبـــدعينا وغـــدونا بعـــدَ علـــمٍ جاهلينـــا

ذكّرينـــا أننـــا مـــن أمَّـــةٍ قـــد تخطَّـــتْ بهـــداها العالمينـــا

مـــا عـــلا التكبيـــرُ يومًـــا زحفَهـــا أبـــدًا إلا وعـــزَّ الزَّاحفونـــا

*****

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا أصـــبحَ التَّـــضليلُ في العـــالمِ دينـــا

ســـخَّروا العِلـــمَ لإعـــدادِ القُـــوى ليكونـــوا للـــورى مـــستعمرينا

كـــلُّ مـــا يبغـــونَ أمـــسى حقَّهُـــمْ فهـــمُ الأحـــرارُ فيمـــا يفعلونـــا

لـــم يعُـــدْ خـــصمٌ لـــديهمْ يُتَّقَـــى لا ولا هُـــم مـــن حـــسابٍ مـــشفقونا

فغـــدا القتـــلُ ســـلامًا عنـــدَهُمْ حـــسبُهُمْ منـــه اســـتلابَ الجائعينـــا

وإذا هُـــــم قـــــدَّموا منفعـــــةً أتبعوهـــا بالـــذي يُـــشقي مئينـــا

والـــذي ينفـــعُ ممّـــا قـــدّموا هـــمْ بـــه في كـــلِّ حـــالٍ صـــائدونا

*****

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا فعـــسى مـــن غفلـــةٍ أن توقظينـــا

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا آن أن يحكـــمَ قـــومي المُخلـــصونا

غربلينـــا غربلـــي أحزابَنـــا وشـــعاراتٍ بهـــا قـــد أتخمونـــا

كـــلُّ حـــزبٍ مـــا عـــدا أحزابنـــا يلتقـــي في ســـعيهِ بالآخرينـــا

ولـــدينا كـــلُّ حـــزبٍ مُخلـــصٌ ويـــرى الآخـــرَ مُرتـــدًّا خؤونـــا

لا يـــرى غيـــرَ الـــذي يـــسعى لـــه ولـــو اجتـــاحَ بـــلادي المُعتدونـــا

ضـــيعونا ضـــيعوا أوطاننـــا ضـــيَّعوا مـــا قـــد بنـــاه الـــسَّابقونا

*****

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا غربلينـــا وبنـــصرٍ بَـــشِّرينا

ذكّرينـــا أنَّنـــا القـــومُ إذا مـا صـحوًا يومًـا تخطّـوا الـسابقينا

صـــاغَنا التوحيـــدُ يومًـــا أمَّـــةً بهُـــداها عـــزَّتِ الـــدُّنيا قُرونـــا

كـــلُّ فـــردٍ كـــانَ منهـــا مُـــصحفًا وعلـــى إبلاغِـــهِ كـــانَ الأمينـــا

ينـــشرونَ الـــدّينَ بالعـــدلِ الـــذي لـــمْ يـــزلْ يفخـــرُ فيـــه المنـــصفونا

وغـــدا أحفـــادُهم وا حـــسرتي بالـــذي حـــلَّ بهـــم لا يأبهونـــا

غربلينـــا غربلـــي إعلامَنـــا إنّـــه أمـــسى مـــلاذَ الكاذبينـــا

*****

غربلينـــا كثُـــرَ الظُّلـــمُ بنـــا وتولانـــا الطُّغـــاةُ الظالمونـــا

كـــلَّ شـــبرٍ قـــام فيـــهِ مُـــدَّعٍ يمـــلأ الأرضُ ضـــلالاً وفتونـــا

ويـــرى النـــاسَ عبيـــدًا عنـــده وبمـــا يُرضـــيهِ قـــسرًا يعملونـــا

مزَّقونـــا ألـــفَ حـــزبٍ حاقـــدٍ ولكـــي يقـــوَوْا علينـــا مزَّقونـــا

لـــم تعـــدْ تجمـــعُ قـــومي قـــيمٌ لـــم يكونـــوا بـــسواها يُـــذكرونا

ديـــنُهمْ مـــصلحةٌ أنَّـــى بـــدتْ لـــسواها ســـاعةً لا يعملونـــا

قـــد نـــسينا اللهَ في أعمالِنـــا وكمـــا نحـــن نـــسيناهُ نـــسينا

*****

غربلينـــــا كثُـــــرتْ أموالُنـــــا كثـــرةً أُذهِـــلَ منهـــا العالَمونـــا

وبهـــا قـــد زاد قـــومي بطـــرًا فنثرناهـــــا شـــــمالاً ويمينـــــاً

أتخمـــت كـــلَّ بنـــوكِ العالمينـــا وبنـــو قـــومي حفـــاةٌ جائعونـــا

وقبلنـــــا ردّهـــــا أســـــلحةً نقتـــلُ الأهـــلَ بهـــا والأقربينـــا

لـــو وضـــعناها بمـــا يُجـــدي لمـــا كـــان في عالمنـــا مـــن يَـــسبقونا

غربلينـــا وخُـــذي مـــن بطِـــروا وبهـــدرِ المـــالِ كـــانوا البارعينـــا

وإلـــى أعـــدائنا طـــاروا بهـــا حـــسّبُنا منهـــا ابتـــسامَ النَّاهبينـــا

*****

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا آنَ أنْ نـــصحو ونحيـــا مؤمنينـــا

يـــوم آخـــى بيننـــا إســـلامُنا لـــم يكُـــنْ يومًـــا سِـــوانا عالِمونـــا

ونـــسينا مـــا بـــهِ سُـــدنا الـــورى وعلـــى أهليـــهِ صِـــرنا النَّاقمينـــا

وإذا للهِ قامـــــــتْ دعـــــــوةٌ عـــدَّها الطَّـــاغوتُ جهـــلاً، وجنونـــا

وإذا أخلـــــصَ حـــــرٌّ دينَـــــهُ كـــانَ محظوظًـــا إذا مـــاتَ ســـجينا

غربلينـــا يـــا مآســـي غربلينـــا غربلينـــا وبنـــصرٍ بـــشّرينا

لـــم يَـــدُمْ للظُّلـــمِ يومًـــا مجـــدُهُ وســـيبقى المجـــدُ حـــقَّ الـــصَّالحينا

*****

غربلينـــا غربلـــي كـــي تُنقـــذينا وبـــلا غربلـــةٍ لـــن تُنقـــذينا

غربلينـــا أحـــسني غربلـــةً لا نُـــرى بعـــدَها منحرفينـــا

غربلينـــا غربلـــي لا ترحمـــي مـــن غـــدوًا خُـــدَّامَ كـــلِّ المعتـــدينا

فغـــدا الـــدِّينُ الـــذي عـــزّوا بـــه عنـــد أهـــلِ الكفـــرِ إرهابًـــا لعينـــا

غربلينـــا مـــا لكفـــرٍ ذمَّـــةٌ لا ولا طاغوتُـــهُ يعـــرفُ دينـــا

غربلينـــا أو ســـتلقَيْنَ غـــدًا أنَّ قـــومي قـــد غـــدوا في الهالكينـــا

غربلينـــا أحـــسني غربلـــةً أو فقـــومي يـــا مآســـينا اندُبينـــا

*****

حال المسلمين

مَـــنْ ذا لحـــالِ المـــسلمينا إلاّكَ ربَّ العالمينـــــــــــا!!
بِهُـــــداكَ صـــــاروا أمَّـــــةً دانَـــتْ لهـــا الـــدنيا قرونـــا
ونَـــسوْا هـــداكَ فهـــاهمُو واحـــــــسرتاه مُمَزَّقونـــــا
لاشـــيءَ يجمَعهـــم سِـــوى ذُلٍّ بـــــــه مُتمـــــــسِّكونا
لَيَـــشُكُّ فـــيهمْ مـــن يـــرا هُـــم أنهـــمْ عَرفـــوكَ حينـــا
مـــن ألـــفِ داءٍ قـــد شـــكَوْا ألَمـــــاً... ولا يتطبَبونـــــا
ودواءُ أدواءِ الأنـــــــام بكفِهـــــــم لَـــــوْ يـــــشعرونا
ولَـــدَيْهمُو أقـــوى القُـــوى وأهمُّهُـــا لَـــوْ يَعْقِلونـــا
وبـــــرغمِ كثْـــرتِهمْ ومـــا ملكـــوهُ هـــمْ مُتواكِلونـــا
ومِـــن العـــدوِّ الغاصـــبِ المحتـــلِّ حقـــاً يطلبونـــا
يـــــزدادُ غطرســـــةً علـــــيهمْ كلَّمـــــا يتـــــذلّلونا
يُمْلَـــي علـــيهمْ مـــا يـــشاءُ وهـــمْ لـــه مُتـــشكرونا
وأهـــمُّ مـــا نـــشكوه مـــنهمْ أنهـــــــمْ لا يأبهونـــــا

*****

عجبـــاً لأمْـــرِ المـــسلمينا سُـــــحِقوا ولا يَتنبَّهونـــا
النـــــارُ تـــــأكُلهم وهـــــمْ بـــــسعيرها مـــــستبردونا
لتكـــاد لا تُبقـــي امـــرءاً مـــنهم وهُـــمْ مُتلذّذُونـــا

لـــو يبـــصقون لأُطفِئَـــتْ لكـــــنّهمْ لا يبـــــصقونا
أعْراضُـــهُم سُـــبيتْ جِهـــا راً للعلـــوجِ... وينظرونـــا
ولربّمـــا تلقـــى الأشـــا وسَ منهمـــو يتحوّقَلونـــا
عـــــشراتُ آلافِ العـــــذا رى فُـضِّحتْ يـا مـسلمونا
ومئـــــات آلافِ الألـــــو فِ يُهَجَّـــرونَ..ويوأَدونـــا
وقـــرىً بأهليهـــا يُـــدَمِّرُ هـــا الطغـــاةُ الماكرونـــا
أقـــوى قُـــوى التـــدّمير ســـاقتها جيـــوشُ المعتـــدينا
هُـمْ ألـفُ شـتّى... والْتَقـوا رغـمَ الخـلافِ ليمْـسحونا
رفعـــوا شـــعاراتٍ بهـــا كـــذبوا..وكـــانوا الكافرينـــا
مـن مجلـسِ الرُّعـبِ الـذي يدّعونـــه أمْنـــاً غُزينـــا
أوَمـــا بـــه عَلَنـــاً أبـــا حَ فناءَنـــا المتجبّرونـــا
وبـــه أضـــاعوا كـــلَّ حـــقٍّ للعُفـــاةِ البائـــسينا
ويقـــال زوراً إنـــه أمـــنٌ لـه اختـاروا «أمينـا»
لـــو أنـــصفوا لَـــدَعوهُ مَجْلِـــسَ رُعْـــبِ كـــلِّ المؤمنينـــا
ورأوْا أمينَهُمـــو عليـــهِ الناكـــثَ الوعـــدَ الخؤونـــا
أوَمـــا علـــى عينيـــهِ يقـــضي الأبريـــاءُ الأعزلونـــا!!
أوَمـــا يقابِـــلُ بالرِّضـــا إجـــرامَ أعتـــى المجرمينـــا!!
فعـــلامَ يُـــدعى مجلِـــساً للأمـــنِ يـــا مُتحامقينـــا!!
مـــا كـــان إلاّ مجلِـــساً للأمـــنِ أمْـــنَ القاتلينـــا

مـــا كـــان إلاّ مـــصْدراً للقتْـــلِ قتـــلِ الآمنينـــا
أوَ مـــا ســـيبقى الـــدهرُ محزونـــاً لأمـــر المخرجينـــا!
أوَمـــا يـــذوبُ الـــصَّخرُ إشـــفاقاً لمـــا يتحمَّلونـــا!!
لـــم يَجْـــنِ ذَنْبـــاً واحِـــدٌ مـــنهم... ولا هـــم حاقـــدونا
وبكـــلِّ مـــا في الكـــونِ مـــن ظلـــمٍ وحقـــدٍ يُطرَدونـــا
وهـــمُ الجُـــذورُ بأرضِـــهمْ فعـــلامَ عنهـــا يُبعـــدونا!
الـــذَّنبُ كـــلُّ الـــذَّنبِ أنَّ القـــومَ كـــانوا مؤمنينـــا
أيـــنَ الحـــضارةُ، والرقـــيُّ الحـــقُّ يـــا مُتمَّـــدنونا!
أيـــنَ الـــضَّميرُ الحـــيُّ، أيْـــنَ العَـــدْلُ، أيـــنَ المنْـــصِفونا!
أيـــن المـــسيحُ، وأيـــنَ أيـــنَ الحـــبُّ، أيْـــنَ المُفتـــدونا!
أيكـــونُ قـــد فـــدّى بَنيـــهِ لكـــيْ يكونـــوا قاتلينـــا!
أيكـــونُ نبـــعَ محبَّـــةٍ وإليـــه يُنمـــى الظَّالمونـــا!
أيكـــونُ قـــد أرســـى الـــسَّلام... لكـــي يكونـــوا الهادمينـــا!
الحقـــدُ إنْ مـــلأ القلـــوبَ فلـــن تـــرى مُتعقِّلينـــا
والكفـــرُ إن قـــادَ القـــوى أشـــقى وأفنـــى العالمينـــا

*****

لَهَفـــي علـــى أهـــلِ الهـــدى كيـــفَ اســـتحالوا تائِهينـــا
كـــانوا الأعـــزَّ المنـــصِفينَ عـــدوَّهم... والعادلينـــا
كـــانوا... وَدَعْ مـــا كـــان وانظـــرْ كيـــف هـــم مستـــضعَفونا
في كـــلِّ أرضٍ وَحْـــدَهُمْ واحـــسْرتاه يُـــذَبَّحونا

وجمـــيعهم يـــدّري بمـــا يجـــري... ولا يتحرَّكونـــا
لا يفعلـــونَ سِـــوى الكـــلامِ... فبـــالكلامِ يحاربونـــا
لَـــتَظُنُّ قـــد نَفِـــدتْ بحـــارُ الأرضِ ممَّـــا يكتبونـــا
ملـــؤوا المحافِـــلَ بـــالكلامِ ولـــمْ يكونـــوا مُقنِعينـــا
عجـــزوا عـــن الإخـــلاصِ حتّـــى في الكـــلامِ فـــضيَّعونا
وبموقـــفٍ لـــوْ أخلـــصوا يومـــاً.. لكـــانوا يُرهبونـــا

*****

يـــا ربِّ حـــالُ المـــسلمينا قـد أصبحتْ تـدمي العيونـا
لأذلَّ أهـــلِ الأرضِ أحْـــسبُهم... وهُـــمْ يتفاخرونـــا
أألـــومُ محكـــومينَ مـــنهم... أمْ ألـــومُ الحاكمينـــا!!
كـــلُّ عليـــه الـــوِزْرُ ممّـــا نحـــنُ فيـــه قـــدْ بُلينـــا
لا الـــشعبُ أخلـــصَ للـــوُلاةِ... ولا الـــوُلاةُ براحمينـــا
لا يَلْتقـــونَ فيلتقـــونَ... ولا هُمـــو يتناصـــحونا
الـــشعبُ أصـــبحَ عـــاجزاً عـــنْ أن يـــردَّ الغاصـــبينا
والحـــاكمون بدونـــه مـــاذا تـــراهمْ يَفعلونـــا!!
لا هـــؤلاءِ... ولا أُولاءِ... أظـــنّهمْ بالآمنينـــا
فعـــلامَ لا نحيـــا الهـــدى ونعيـــدُ عهـــدَ الرَّاشـــدينا
ونُـــريحَ هـــذا الكـــونَ مـــن ظلـــمٍ أذلَّ العالمينـــا
فيـــرى عـــدالتَنا ويـــشهدُ مـــا سِـــوانا منقـــذونا
لـــم يلـــقَ عـــدلاً منـــذُ أنْ غبنـــا، ولـــم يلـــقَ الأمينـــا

أنكـــونُ جنـــدَ رســـالةِ الهـــادي ونبقـــى تائهينـــا؟!
عجبـــاً أهـــذي حالـــةٌ يرضـــى بهـــا المتعقلونـــا!!
عجبـــاً أهـــذي أمَّـــةٌ دانـــتْ لهـــا الـــدنيا قرونـــا!!
عجبـــاً أهـــذي أمَّـــةٌ عرفـــت علـــى الأيَّـــامِ دينـــا!!

*****

يـــا ربِّ حـــالُ المـــسلمينا لـــم تُـــرضِ إلاّ الكافرينـــا
حـــاقَ الفنـــاءُ بهـــم.. وزَلْـــزَلَهُمْ.. ولا هُـــم يـــشعرونا
مأســـاةُ أدنـــاهُمْ وإنْ صَغُـــرَتْ تـــذوِّبني حنينـــا
وأوَدُّ لـــو أنّـــي بروحـــي أفْتـــديهمْ أجمعينـــا
ويزيـــدُني ألمـــاً بقـــائي عـــاجزاً أسِـــفاً حزينـــا
فَلِمَـــنْ سأشـــكو حالتَيْنـــا... ليتنـــي أجـــدُ الأمينـــا؟!
أنـــت المعـــينُ ومـــا ســـواكَ لهـــا... تبارَكْـــتَ المُعينـــا
عـــزَّ الرجـــاءُ... ووحـــدَكَ اللَّهُـــمَّ عِـــزُّ الـــسائلينا
أَصْـــلِحْ رعيَّتنـــا بإصـــلاحِ الرّعـــاةِ المُخلـــصينا
وارحـــمْ وُلاةَ أمورنـــا بـــصلاحِ أمْـــرِ المؤمنينـــا
واجعلهمـــو لرضـــاكَ ربـــي كلَّهـــمْ مُتجرِّدينـــا
حتـــى نعـــودَ علـــى الزَّمـــانِ كمـــا بـــدأنا مُـــسلمينا

النذيرة

نشرت هذه القصيدة كاملة في (**مجلة الثقافة الإسلامية**)
التي تصدرها المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق)
العدد /٧٧/.

أرجو أن تكون صيحة حق خالصة لله ولوحدة المسلمين.

الـــدِّينُ عـــمَّ العـــالمينَ ضـــياؤهُ ... يـــومَ اســـتقامَ علـــى التُّقـــى أبنـــاؤهُ

والـــدَّهْرُ نـــالَ بـــه أعـــزَّ رجائـــهِ ... وبغيـــرِ ديـــنِ اللهِ عـــزَّ رجـــاؤهُ

وســـعَ الأنـــامَ بـــشرعِهِ حتـــى غـــدا ... أقـــوى الأنـــامِ بـــشرعِهِ ضـــعفاؤهُ

وقـــضى علـــى فـــتنِ الطُّغـــاةِ بعدْلِـــهِ ... وأراحَ مـــن ظلـــمِ الطُّغـــاةِ قـــضاؤهُ

الطيْـــرُ بالإيمـــانِ نالـــتْ أمْنهـــا ... والـــوحشُ منّـــا لـــم يكـــنْ إيـــذاؤهُ

وبـــهِ تـــساوى النـــاسُ فيمـــا بيـــنهمْ ... ويُجَـــلُّ فـــيهم مـــن أفـــادَ عطـــاؤهُ

وإذا ولاءُ القلـــبِ لـــم يَـــكُ مخلـــصاً ... للهِ ضـــــلَّ، ولـــــمْ يـــــصحَّ ولاؤهُ

*****

الـــدِّينُ عـــمَّ العـــالمينَ ضـــياؤهُ ... فـــالكونُ باســـمةٌ بـــه أرجـــاؤهُ

الجاهليـــةُ ألْـــفَ عالمـــةٍ غـــدتْ ... والجـــاهليُّ أزيـــلَ منـــه جَفـــاؤهُ

وجميـــعُ أســـرارِ الوجـــودِ تكـــشَّفتْ ... للمـــؤمنينَ... فهـــمْ بـــه علمـــاؤهُ

والخُلْـــفُ بـــين الأهـــلِ صـــارَ رســـالةً ... هـــي للزَّمـــانِ مـــن الـــشقاءِ شِـــفاؤهُ

حملـــتْ همـــومَ العـــالمينَ دعاتُهـــا ... ليـــزولَ مـــن قلـــبِ الأنـــامِ شـــقاؤهُ

كشفوا غطاءَ العقلِ وانطلقوا به ... لولا الهُدى ما زالَ عنه غِطاؤهُ

فالدِّينُ في عقلِ التقيِّ تحررٌ ... وبه ترى الإبداعَ عمَّ سناؤهُ

والدِّينُ تحياهُ القلوبُ تراحماً ... والباذلونَ العفوَ هُمْ رُحماؤهُ

فالدِّينُ يُعطي للنفوسِ صفاءها ... إمّا تسرَّبَ في النفوسِ صفاؤهُ

والمؤمنونَ هُمُ البُناةُ... ووحدهُمْ ... في الكونِ قادتُه، وهم حكماؤهُ

هلْ كانَ إلاّ منْ صفا إيمانُه ... أهْلاً لكي يُرضي الجميعَ عطاؤهُ!

إن كان أعطى الناسُ كلُّهمو.. فما ... غيرُ التقيِّ مُبَرأً إعطاؤهُ

يسْخو بلاَ مَنٍّ ويُسْعِدُ نفسَهُ ... إن كانَ سرًّا للأنامِ سخاؤهُ

فالمرءُ بالإيمانِ يبقى راحماً ... وبه يدومُ على الأنامِ هناؤهُ

والمرءُ بالإيمانِ يحيا مُبدعاً ... ولكمْ بلا دينٍ يزيدُ عماؤه!

هلْ مثلُ خامسِ راشدينا حاكمٌ ... في الأرضِ قد أرضى العدوَّ قضاؤهُ!

ردَّ البلادَ لأهلِها بإشارةٍ ... والجيشُ كالأقدارِ كان مضاؤهُ

لم يقبلِ الفتحَ المبينَ لغلطةٍ ... من قائدٍ بهرَ الزَّمانَ دهاؤهُ

فاضتْ على مُهجِ الخلائقِ رحمةٌ ... منْ عدلِه... فكأنَّهمْ أبناؤهُ

هلْ كابنِ حنبلَ في تحمُّلِ ضُرِّهِ ... والرَّاسياتُ تزيلُها ضرّاؤهُ!

للهِ أخلصَ دينَه متمسِّكاً ... بالحقِّ لم يُضْعِفه فيه بلاؤهُ

فَجَلا عن الإسلامِ أكبرَ فتنةٍ ... وعن الهدى زالتْ به بأساؤهُ

كـمْ ذا يُجِـلُّ الـدَّهرُ مـن قـد آمنـوا لـولا التـديُّنُ هُـمْ بـه خلطـاؤهُ

مـا كـانَ إلا رحمـةً إسـلامُنا أوَ مـا أقـرَّ لنـا بهـا أعْـداؤهُ!

*****

يـا أيُّهـا المُتَبرِّمـونَ بـدِيننا والزّاعمـونَ بأنَّنـا بُلَهـاؤه

مـا كـانَ ديـنُ اللهِ إلاّ مُنْقِـذاً للعـالمينَ تعمُّهُـم نعمـاؤهُ

لـم يُعـطِ ديـنُ اللهِ يومـاً هادمـاً أوْ مُجرمـاً جمحـتْ بـه غلـواؤهُ

لـم يُعـطِ ديـنُ اللهِ إلا مُـصلحاً للنـاسِ بالقِـسطاسِ كـان عطـاؤهُ

لـم يُـشقِ ديـنُ اللهِ يومـاً مُهْجَـةً وبـهِ يـزول عـن الأنـامِ شـقاؤهُ

لـم يأخـذِ الإسـلامُ منّـا غيـرَ مـا يُـؤذي، ومـا يُـشقي النفـوسَ بقـاؤهُ

لـم يـأمرِ الإسـلامُ إلاّ بالـذي فيـه يـتمُّ لمـنْ وَعـاهُ هنـاؤهُ

*****

يـا مـن تـوَهَّمَ أنَّ بالـدينِ الأسـى وبـه التخلّـفُ... غـابَ عنـك نقـاؤهُ

اللابـسونَ الـدِّينَ أصْـلُ بلائِنـا والقـائمونَ عليـه زوراً داؤهُ

مـا كـان ديـنُ اللهِ يومـاً منـصباً جيئـتْ لتـستعلي بـه وزراؤهُ

كـلاّ... ولا الإفتـاءَ مـن ذي عِمَّـةٍ يـأتي لنيـلِ مكاسـبٍ إفتـاؤهُ

كـلاّ... ولا هـو للتكـسبِّ مَلْبَـساً لِتَفـاخُرٍ قـد زُركـشتْ أزيـاؤهُ

كـلاّ... ولا النَّـدواتُ تُعقـدُ هاهنـا أوْ هاهنـا، وكمـا اشـتهى زعمـاؤهُ

كـــلاّ... ولا هـــو بالمـــدائحِ صـــاغَها ... مـــن يـــدَّعونَ بـــأنهم شـــعراؤُهُ

كـــلاّ... ولا تـــرنيمَ جوْقـــةِ مُنْـــشِدٍ ... قـــد أطـــربَ المتـــسامرين غنـــاؤُهُ

كـــلاّ... ولا هـــو مـــن يفلـــسِفُ دينَـــه ... ويُقِـــرُّهُ فيمـــا ادّعـــى نُـــدماؤُهُ

الـــدِّينُ ديـــنُ اللهِ نـــصٌ ثابـــتٌ ... منـــه اســـتقى آراءَهُـــمْ فقهـــاؤُهُ

كَفِـــلَ الإلـــهُ بقـــاءَه في نـــصِّه ... لـــولا النُّـــصوصُ لَمـــا اســـتقرَّ بقـــاؤُهُ

في الـنصِّ مـا يكفـي، ومـا يُغنـي ومَـنْ ... حـــادوا علـــى عَمْـــدٍ فهـــمْ أرْزاؤُهُ

الـــنصُّ أصْـــلٌ... والفـــروعُ توابـــعٌ ... والفـــرْعُ إن تَفْـــصِلْه كـــان فنـــاؤُهُ

مـــا حـــاربَ الإســـلامَ إلاّ مـــن دُعُـــوا ... أبنـــاءَه، وهُمُـــو... هُمُـــو أعـــداؤُهُ

قـــد جَـــزَّأوه... وأطّـــروه، فَـــضُلِّلَتْ ... بالتجزئـــاتِ، وَضُـــيِّعَتْ بـــسطاؤُهُ

وتمـــذهبوا فيـــه.. فكـــلُّ مُمَـــذْهبٍ ... تمْحـــو، وتُبطِـــلُ غيرَهـــا آراؤُهُ

قتـــلَ التَّعـــصُّبُ، والتَّمـــذهبُ عقلَنـــا ... ودعاتـــهُ ألِـــفُ الـــبلاءِ، ويـــاؤُهُ

في الأصْـلِ تجتمـعُ الفـروعُ، وتزدهـي ... والأصْـلُ لـم يَـكُ بـالفروعِ نمـاؤُهُ

مـــن كـــان يملـــكُ جنَّـــةً ثم اكتفـــى ... منهـــا بغُـــصنٍ أيـــنَ أيـــنَ ذكـــاؤُهُ؟!

*****

يـــا أيُّهـــا المتمـــذهبونَ رُوَيْـــدكمْ ... هـــذا التَّمـــذهبُ شـــاءه خُبثـــاؤُهُ

الـــدِّينُ جـــاءَ مُوحِّـــداً، هَـــلْ آيـــةٌ ... في الخُلْـــفِ يحفظُهـــا لنـــا فُرقـــاؤُهُ؟!

مَـــنْ شـــذَّ عـــن عمْـــدٍ، وفـــارقَ أهلـــه ... فهـــو الـــذي فـــاقَ العَـــدوَّ عِـــداؤُهُ

والأدعيـــاءُ بـــه أســـاسُ بلائـــه ... ويكـــادُ يـــأتي منهمـــو إفنـــاؤهُ
هـــم جـــزّأوه، ومُـــسِّكوا أجـــزاءَه ... أَيعـــيشُ جـــسمٌ مُزّقـــتْ أعـــضاؤهُ؟!
ولـــو اتَّبعنـــا آيـــةً، أوْ سُـــنَّةً ... منـــه بـــإخلاصٍ لـــدامَ بهـــاؤهُ
وأشـــدُّ مـــن عـــاداه مـــنهمْ مَعْـــشَرٌ ... خـــدَعوا الأنـــامَ بـــأنَّهم علمـــاؤهُ
أفْتَـــوْا بمـــا لا يعلمـــونَ... فجُلُّهـــم ... أعمتْـــه عـــن شـــرعِ الهـــدى أهـــواؤهُ
قلبـــوا الأمـــورَ علـــى هـــوى أســـيادِهمْ ... فـــإذا همُـــو بـــين الـــورى ســـفهاؤهُ
الـــدِّينُ أســـماءً، وألقابـــاً غـــدا ... والهـــادِمونَ كيانَـــه رُتبـــاؤهُ
أســـماؤهم لكأنَّمـــا اســـتَغْنَوْا بهـــا ... عـــن غايـــةِ الـــدِّينِ الـــذي هـــمْ داؤهُ
لـــو بعـــضُ مـــن قـــد عُبِّـــدوا، أوْ حُمِّـــدوا ... عاشـــوا لـــدينهمو لَـــدامَ ضـــياؤهُ
أوْ كـــان ممّـــنْ قـــد تحكّـــمَ باسْـــمه ... رَجُـــلٌ... لعـــادَ لـــدِيننا إحيـــاؤهُ
قـــلْ هاهنـــا شَـــهْدٌ، وقـــل عَـــسلٌ فهـــل ... كانـــت لتُـــشْبِعَ جائعـــاً أســـماؤهُ!

*****

الـــدِّينُ عـــمَّ العـــالمين ضـــياؤهُ ... ويعـــمُّ إنْ سَـــلِمَتْ لـــه خُلَـــصاؤهُ
فالدّيـــن علْـــمٌ... والجهالـــةُ داؤه ... وبغيْـــرِ علْـــمٍ لـــنْ يقـــومَ بنـــاؤهُ
والـــدِّينُ ديـــنُ اللهِ بَـــذْلُ جهودِنـــا ... كـــي لا يَعِـــمَّ مـــن الـــضلالِ بـــلاؤهُ
والـــدِّينُ ديـــنُ اللهِ إعـــدادُ القـــوى ... لِيَفِـــرَّ منَّـــا رهْبـــةً أعـــداؤهُ
الـــدِّينُ عـــيْشُ المـــؤمنينَ أعِـــزَّةً ... ويعـــودُ فـــيهم مـــا بنـــى خلفـــاؤهُ

وتــرى فتــوحَ المــسلمينَ... وعزَّهــا وبهــا عــن الكــونِ انجلَــتْ ظلمــاؤُهُ
وتحطَّــمَ الطــاغوتُ، والظلْــمُ امّحــى والكــونُ بالإيمــانِ عــادَ صــفاؤُهُ
مــا كــانَ غيــرُ فتــوحِ قــومي رحمــةً حكمــتْ بهــا بــين الــورى حكمــاؤُهُ
فكمُهجــةِ الأمِّ الــرؤومِ فتوحُنــا إن حــانَ للطفــلِ الرضــيعِ دواؤُهُ
تَقْــسو... ومــا أحنــى وأرحــمَ قــسوةٍ لــوْ لــم تكــنْ منهــا لَعَــزَّ شــفاؤُهُ!

*****

يــا أيُّهــا الخُــرّاصُ هــذا دينُنــا وأولاءِ يــا خُــرّاصُ هــمْ أبنــاؤُهُ
مــا كــان منّــا غــادرٌ في خــصمِهِ يــوْمَ الــوغى، أوْ مــن يُهــابُ ريــاؤُهُ
مــن رحمــةٍ صــاغَ الإلــهُ فؤادَنــا ولرحمــةٍ تــسعُ الأنــامَ وفــاؤُهُ
والعلْــمُ إنْ لــمْ يلتــزمْ بهدايــةٍ لأعــزُّ مــن علمائِــه جهــلاؤُهُ
بعلــومِ مــن قــد ضــلَّ تــدميرُ الــورى فأشــرُّ مــن عــرفَ الــورى علمــاؤُهُ

*****

الكــونُ قــد شَــقِيَتْ بــه أبنــاؤه وبغيْــرِ ديــنِ اللهِ عــزَّ نجــاؤُهُ
فــالكونُ تعــصِمُه الهدايــةُ والتُّقــى والمؤمنــونَ بــربِّهم أمنــاؤُهُ
إن لــمْ يــسارعْ مــن هُــدوا لخلاصِــه فــالكوْنُ أقــربُ مــا يكــون فنــاؤُهُ

وردة على مفرق فتاة أمية

أُلقيت في مكتب عنبر في مهرجان دمشق الثالث للثقافة والتراث، وكان لها أصداء واسعة جدًّا في أكثر من مجال...

عـــروسُ الـــشِّعرِ زحزحـــتِ النِّقابـــا ... فـــشبَّ الـــشيبُ تحـــسبهُ شـــبابا

وجُنَّـــتْ مـــن محاســـنِها القـــوافي ... كـــأن جريرَهـــا للـــشَّام آبـــا

حماهـــا اللهُ يهـــرمُ ألـــفُ دهـــرٍ ... وتبقـــى الـــشَّامُ للأمجـــادِ غابـــا

ذَرى الـــرَّحمنُ مـــلءَ الكـــونِ آيـــاً ... وقـــد جعـــلَ الـــشآمَ لهـــا كتابـــا

فمـــا مـــن آيـــةٍ في الـــشامِ إلاّ ... وتلهمـــكَ الهدايـــةَ والـــصَّوابا

إليهـــا حـــجُّ أنظـــارِ البرايـــا ... وينـــسى مـــن رأى الـــشَّامَ الإيابـــا

فلـــيسَ كحـــسنِ غوطتِهـــا ثـــوابٌ ... لمـــن قـــد جاءهـــا يرجـــو الثوابـــا

غـــصونُ الغـــوطتينِ إذا تثنَّـــت ... حـــسبتَ الغـــصنَ ناعمـــةً كَعابـــا

ومـــا غُـــصنٌ إذا الهيجـــاءُ نـــادت ... بهـــا إلاّ وتلقـــاه حِرابـــا

بهـــا رايـــاتُ نـــصرِ الله شـــالت ... علـــى اســـمِ الله تحـــسبُها الـــسَحابا

تكفّلهـــا الإلـــهُ كمـــا براهـــا ... ومـــا كـــشفَ الزَّمـــانُ لهـــا حجابـــا

تزيـــدُ علـــى نوائبهـــا ثباتـــاً ... ولا تُبقـــي لـــوحشِ الظُّلَـــم نابـــا

*****

فتـــاةَ أميـــةٍ عفـــوَ ادكـــاري وعفـــوَ الـــشِّعرِ نـــاداني، وغابـــا
طلعْـــتِ علـــى الزَّمـــانِ كمـــا تمنَّـــى وحُـــسنكِ لـــم يَـــشبْ، والـــدَّهرُ شـــابا
فتوحـــاتٌ تمـــرُّ أمـــامَ عينـــي فتوســـعني لروعتهـــا انجـــذابا
عـــشقتُ الـــشامَ ســـلها لا تـــسلني لمـــاذا؟ فهـــي تمتلـــكُ الجوابـــا
عـــشقتُ الـــشامَ تُكبرهـــا الأعـــادي فوجـــهُ الـــشَّامِ مـــا عـــرفَ الخـــضابا
عـــشقتُ الـــشَّامَ إبـــداعاً وعلمـــاً وفتحـــاً لـــم يـــدعْ صـــنماً مُهابـــا
عـــشقتُ الـــشامَ عـــدلاً واعتـــدالاً وأمـــراً في بنـــي الـــدُّنيا مُجابـــا
فأشـــمخُ والزمـــانُ معـــي شَـــموخٌ بمـــا أزجتـــهُ للـــدُّنيا احتـــسابا

*****

فتـــاةَ أميـــةٍ يـــا أمَّ عفـــواً إذا مـــا سُـــقتُ مـــن ألمـــي العتابـــا
أرى الأجيـــالَ قـــد ضـــلَّت هُـــداها وزادتْ عـــن عقيـــدتِها اغترابـــا
فمـــا حفظـــتْ لمجـــدِ الأمـــسِ عهـــداً فأمـــستْ كـــلُّ بارقـــةٍ خلابـــا
وهـــا أُفـــرِدتِ في زمـــنِ التَّـــردي وعنـــكِ أطـــالَ مـــن ضـــلُّوا الغيابـــا
وكنـــتِ، وكـــان بأسُـــكِ كـــلَّ آنٍ شـــديداً يأخـــذُ الـــدُّنيا غِلابـــا
فكيـــفَ غفلـــتِ يـــا أمَّ الأمـــاني وكيـــفَ رضِـــيتِ أن يـــرِدوا الـــسرابا!
وكيـــفَ القـــومُ عـــافوا الـــودَّ وِرداً ورادوا في فـــمِ الأفعـــى رُضـــابا!
وكيـــفَ بقـــشرةٍ رُميـــتْ إلـــيهم رضَـــوا طوعـــاً، وعـــدّوها لُبابـــا!
وصـــافوا مـــن بغـــى وطغـــى علـــيهم وصـــيَّرَ كـــلَّ مـــا ملكـــوا تبابـــا

على الأهلينَ كمْ كانوا شِداداً ... وعندَ عدوّهم كانوا ذُبابا!

فأدخَلَهم حظائرهُ نعاجاً ... وما كانوا بنا إلاّ ذئابا

ولولاهُمْ لما انشعَبَتْ قُوانا ... ولا أمسى توحُّدُنا شِعابا

ولولاهُمْ لما استعصى منالٌ ... على قومي، ولم نَشْكُ اضطرابا

تبدَّلَ كلُّ ما قد كان منّا ... وصارَ خيالُ غاصِبنا مُهابا

يسوقُ لنا الفناءَ بكلِّ آن ... ونحذرُ أن نسوقَ له العتابا

وكمْ كنَّا نجيدُ له سِباباً ... فصِرنا لا نقِرُّ له سِبابا

ونحنُ الأكثرونَ غنىً وعدَّاً ... ولكنَّا الأذلَّ له جَنابا

فعفواً يا فتاةَ المجدِ عفواً ... إذا اقتضبَ الكلامُ هنا اقتضابا

*****

شآمُ شآمُ عفواً عن سؤالي ... متى ألقى لما كُنّا إيابا!

مسيلمةٌ يفرِّخُ كلَّ يوم ... فراخاً تملأ الدُّنيا ارتيابا

فأينَ لها أبو بكرٍ بسيفٍ ... يحزُّ لكفرِ ردَّتِها الرقابا!

وأينُ لها الإمامُ وذو فقارٍ ... فيوسعُ من بَغَوْا وطَغَوْا ضِرابا؟

كفانا يا بني قومي ضياعاً ... وشرذمةً... كفى يا قوم عابا

هوى الكُرّسِيِّ أنسانا هُدانا ... فلم نحسبْ لأجيالٍ حسابا

تُرى ماذا سيحكي الجيلُ عنّا ... وقد ورِثَ المذلةَ والعذابا؟

نَزَلْنا عن خيولِ الفتحِ عمْداً ... وأسرجْنا إلى الجُلّى كلابا

ولـــم نتـــركْ لـــه إلا طُلـــولاً مـــن الإذلالِ تنتحـــبُ انتحابـــا
ألا يكفيـــــه ذُلاً أن ســـــكتنا عـن الأقـصى ومـا اغْتُـصِبَ اغتـصابا!
وكيـفَ القـومُ صـاروا ألـفَ قـومٍ وعـن ذلٍّ غـدا العجـبَ العُجابـا
فقـولي لـي أيـا أمَّـاه قـولي متـى بجهادِنـا نلقـى اعتـصابا!
أمـا آن الأوانُ لكـي ترانـا علـى الأعـداءِ نمتـشقُ الحرابـا!
فلـن يلـدَ الظلـومُ سـوى ظلـومٍ ولـن تلقـى لطاغيـةٍ متابـا

*****

فتـاةَ أميـةٍ مـاذا تراني أقـولُ وخـافقي اصـطخبَ اصـطخابا
لمجـدِ الحـقِّ أجـرى الله شـعري فمـا هـو غيـرُ هـذا القلـب ذابـا
ومـا أنـا غيـرُ هـذا الـشعر يحيـا ليكـشفَ عـن مـذلينا النقابـا
همـومُ القـوم صـاغتني بيانـاً بـه أرجـو إلـى الـوثقى انتـسابا
فلـيس الـشعر إلا صـوتَ حـقٍّ يعـود بـه مـن اكتهلـوا شـبابا
كفـرتُ بـه ضـياعاً وانهزامـاً وهلوسـةً ...كفـرتُ بـه كـذابا
إذا مـا كـلُّ حـرفٍ كـانَ سـيفاً علـى الطـاغي فقـد كـان الغرابـا

*****

دمـشقَ المجـدِ هـذا عـرسُ شـعرٍ كأشـهى المُـزنِ ينـسكبُ انـسكابا
تـسرَّبَ مـن دمـي في نفـسِ قـومي رحيقـاً خلتُـهُ الـشَّهدَ المـذابا
إذا مـا رقَّ فهـو الـوَردُ حـسناً وإن يـزْأرْ تـرَ الأرمـاحَ غابـا

فللنبغـــاءِ أهـــلُ الـــشامِ أهـــلٌ لهـــم فيهـــا أحـــبُّ العـــيشِ طابـــا
هـــمُ الـــودُّ المُـــصفى إن يُـــصافوا وإن غـــضبوا فـــأكبِرْهم غـــضابا

*****

شـــآمَ المجـــدِ عفـــوَكِ قـــد صـــحونا لنأخـــذَ حـــقَّ أمتِنـــا غلابـــا
لألمـــحُ ألـــفَ بارقـــةٍ تنـــادي بـــأنَّ النـــصرَ يـــزدادُ اقترابـــا
دهتْنـــا الـــدَّاهياتُ وكـــمْ رأتْنـــا كمـــا أملـــتْ عقيـــدتُنا صِـــلابا!
نزيـــدُ علـــى تحـــدِّيها جهـــاداً بـــه الطَّـــاغوتُ يُـــسلِمُنا الرِّقابـــا
إذا أبلـــتْ لنـــا الجُلَّـــى حِرابـــاً جعلنـــا مـــن أصـــابعِنا حرابـــا
فهـــبْ أمـــسى «نتنيـــاهو» «هولاكـــو» وصـــيَّر مثلَـــه الـــدُّنيا خرابـــا
أمَّـــا ولّـــى هولاكـــو عـــن حِمانـــا وأســـلمَ جـــيشُ هولاكـــو وتابـــا!
وهـــبْ عـــادَ الـــصليبيونَ حقـــداً وزادونـــا فنـــاءً واســـتلابا
ألـــم ينهـــد صـــلاح الـــدين يومـــاً فـــيجعلهم ومـــا فعلـــوا ســـرابا!
أمـــا قـــد جـــدَّدَ الإســـلامَ شـــيخٌ لـــه ســـمعُ الزمـــانِ قـــد اســـتجابا [*]!
أمـــا عـــادتْ بنـــا الـــوثقى فعُدْنـــا وأعلينـــا المـــآذنَ والقبابـــا!
ألـــم نُرجِـــعْ يبـــابَ الأرضِ غابـــاً يفـــيضُ الـــدَّهرَ خِـــصباً واحتلابـــا!
فحقَّـــقَ كـــلُّ ذي كبـــدٍ منـــاهُ بعـــدلٍ لـــم يجـــدْ فيـــه مُحـــابى
إذا لـــم يبـــقَ منَّـــا غيـــرُ حُـــرٍّ أعـــدنا باطـــلَ الـــدُّنيا صـــوابا

*****

[*] إشارة إلى المجدد ابن تيمية رحمه الله.

شـــآمَ المجـــدِ ظلُّـــكِ مـــستطابٌ ... بـــه أُلهِمـــتُ عـــن قـــومي الخِطابـــا

فأســـلسَ واســـتطالَ وطـــابَ شِـــعري ... ولـــولا أنـــتِ لـــمْ يـــكُ مـــستطابا

أرى مـــن ســـالموا أعـــداءَ قـــومي ... أرادونـــا لـــدى الطَّـــاغي كِلابـــا

هـــمُ الأعـــداءُ مـــا عَرَفَـــوا ســـلاماً ... وقُـــبِّحَ مـــن رأى فـــيهم صَحابـــا

لنـــا الرَّايـــاتُ في ســـلمٍ وحـــربٍ ... وعهـــداً لـــن نلـــينَ لهـــمْ جَنابـــا

علـــى اســـمِ اللهِ نعلنُـــهُ جهـــاداً ... ونمـــضي لـــن نـــذلَّ ولـــن نَهابـــا

ســـنفتحُ للـــشهادةِ ألـــفَ بـــابٍ ... إذا مـــا أغلـــقَ الجبنـــاءُ بابـــا

حنان الأمّهات

حُرِمْتُ حنانَ والدتي صغيرا ولمْ أبْرَحْ أَحِنُّ لها كبيرا

أجلْ قد نِلتُ من ربِّي الكثيرا ولكن دونها عشتُ الفقيرا

فما أشقى الحياةَ بغيرِ أُمٍّ تُحيلُ عسيرَ ما نلقى يسيرا!

*****

حنانُ الأمّهاتِ لنا حياةُ ولولاهنَّ ما طابتْ حياةُ

فما من بعدِ فضلِ اللهِ فضلٌ سوى ما قدَّمَتهُ الأمّهاتُ

كأنَّ بهنَّ للأرواحِ روحاً وحسْبُكَ أنَّهُنَّ الوالِداتُ

*****

بهنَّ اللهُ قدْ عَمَرَ الوجودا فكنَّ أحبَّ ما أوْلاهُ جودا

برحمتِهِنَّ رحمَتُهُ تجلَّتْ وحسبُ الأُمِّ أنْ فُطِرَتْ وَلودا

أليسَ الخلْقُ من إنجابِ أُمٍّ ففضلُ الأمِّ ما عرفَ الحدودا!

*****

ثواني عمرِها تزدادُ حُزْنا إذا عشنا لثانيتيْنِ حُزنا

وبالدّعواتِ خالصةً تراها تسوِّرُنا إذا ما نحنُ غِبنا

ومن فرحٍ تكادُ تطيرُ بِشْراً إذا ما نحنُ بعدَ البُعدِ عُدْنا

*****

تـــساوى الأُمُّهـــاتُ بتـــضحياتِ بهـــا تحيـــا جميـــعُ الكائنـــاتِ
ســـلامةُ مـــا يلِـــدْنَ تظـــلُّ أغلـــى وأعظـــمَ مـــن أحـــبِّ الأمنيـــاتِ
فجـــلَّ اللهُ مبـــدعُ كـــلِّ أُمٍ بهـــا أبـــدى لنـــا حُـــسنَ الحيـــاةِ

*****

وقلـــبُ الأُمِّ مـــا ذاقَ الـــسُّرورا إذا الأطفـــالُ لـــمْ تَعِـــشِ الـــسُّرورا
وتحـــسَبُ كُـــلَّ مـــا تعُطـــي قلـــيلاً وتلقـــى نـــزرَ مـــا تُعطـــى كثيـــرا
فمـــنْ عـــاشَ الحيـــاةَ يَبَـــرُّ أُمَّـــاً ســـيلقى بِـــرَّهُ أبـــداً يـــسيرا

*****

رضـــا الأبـــوَيْنِ في مرضـــاةِ ربٍّ أرادَ لنـــا بـــه عِـــزَّ الحيـــاةِ
أمَـــا التّكـــريمُ منـــه لأمُّهـــاتٍ يُـــذكِّرُنا بحـــقِّ الأُمّهـــاتِ!
عـــسانا أنْ نَـــرُدَّ لهُـــنَّ حقّـــاً يكـــون لنـــا الـــسّبيلَ إلـــى النَّجـــاةِ

*****

فهَـاجَرُ كَـمْ سَـعَتْ في القفـرِ لهفَـى! تُؤمِّـــلُ أن تـــرى في القفـــرِ مـــاءَ
تلـــوبُ عليـــهِ ترجـــو رِيَّ طفـــلٍ وعـــادتْ لا تـــرى إلاّ الـــدُّعاءَ
فـــأجرى اللهُ زمـــزمَ سلـــسبيلاً يظـــلُّ كرامـــةً يجـــري رُخـــاءَ

*****

وســـعيُ الأمِّ هـــاجَرَ صـــارَ رُكنـــاً لحـــجٍّ مـــا لمدّتـــهِ انقـــضاءُ
كمـــا هـــيَ قـــد سَـــعَتْ يـــسعى حجـــيجٌ وعُمَّـــارٌ مـــن الأبعـــادِ جـــاؤوا
وكرَّمهـــا الإلـــهُ غـــداةَ أمـــسى لكـــلِّ المـــؤمنينَ بهـــا اقتـــداءُ

*****

لعِفَّـــةِ أُمِّـــهِ في المهـــدِ عيـــسى بـــــأمرِ اللهِ في أدبٍ تكلَّـــــمْ
فأَبْطَـــلَ فِريـــةً، وغَـــدَتْ يقينـــاً بـــراءةُ أُمِّـــهِ العـــذراءِ مـــريمْ
وحـــينَ رضـــيعُ ماشِـــطةٍ تكلَّـــمْ غـــدَتْ في الخُلْـــدِ ماشِـــطةٌ تَـــنَعَّمْ

*****

وأَكْـــرَمَ ربُّ موســـى أُمَّ موســـى ونَجَّـــاهُ مـــن القتـــلِ المُحَتَّـــمْ
فـــأُودِعَ في هيـــاجِ المـــوجِ طفـــلاً بـــأمرٍ كـــانَ للـــرحمنِ مُبـــرَمْ
وطمْـــأَنَ قلبَهـــا المُلتـــاعَ ربٌّ بهـــا وبطفلِهـــا أَوْلـــى، وأرحـــمْ

*****

ولـــمْ يـــكُ أهـــلُ موســـى في ثـــراءٍ إذا مـــا بيـــعَ مـــن أهليـــهِ يُـــشرى
فـــــرُدَّ لأُمِّـــــهِ ردًّا عزيـــــزاً وأُســـكِنَ في حِمـــى فرعـــونَ قـــصرا
وحـــرَّمَ كـــلَّ مُرضِـــعةٍ عليـــهِ لِيُنْبِتَـــــهُ حليـــــبُ الأُمِّ حُـــــرَّا

*****

وأرملـــةُ "الـــذَّبيحِ" أعـــفُّ أنثـــى قـــضتْ مـــن دونِ أن ترعـــى اليتيمـــا
وصـــارَ يتيمُهـــا خيـــرَ البرايـــا بـــأخلاقٍ بهـــا يبقـــى العظيمـــا
وأرســـلَهُ الإلـــهُ بخيـــرِ ديـــنٍ فكـــانَ بكـــلِّ مـــن خُلقـــوا رحيمـــا

*****

أمـــا ولدتـــهُ أمنـــةٌ يتيمـــاً ونجّـــى اللهُ والـــدَهُ الذَّبيحـــا
وســـلَّمهُ بـــأمرِ اللهِ رأيٌ أتـــى ممَّـــن لهُـــم كـــانَ النّـــصوحا
فيـــا بُـــشرى لمـــن هـــم والـــداهُ ليـــصبحَ هديُـــهُ للـــروحِ روحـــا

*****

وأعـــــلامُ الزَّمـــــانِ وعـــــالِموهُ ... ومـــــا هـــــم شـــــيَّدوه وعلَّمـــــوهُ
نَمَتْهُـــــمْ أمَّهـــــاتٌ صـــــالِحاتٌ ... فخُلِّـــدَ كُـــلُّ مـــا قـــد أبـــدعوهُ
فأعلـــوْا مجـــدَ أُمَّتِهـــمْ بجِـــدٍّ ... وللأجيـــالِ مـــا قـــد خلَّفـــوهُ

*****

ولـــولا الأُمُّ لـــمْ نعـــرِفْ كِرامـــاً ... ولا مستبـــصِراً نفَـــعَ الأنامـــا
ولـــم يخلُـــدْ بتقـــواهُ تقـــيٌّ ... علـــى الإيمـــانِ والخُلُـــقِ استقامـــا
علـــى مـــا كـــانَ منـــهُ نَمَتْـــهُ أُمٌّ ... فكـــانَ بمـــا تَعَلَّمَـــهُ إمامـــا

*****

ولـــولا الأُمُّ لـــمْ نَظفَـــرْ بحُـــرٍّ ... تَمَلَّـــكَ قلبَـــهُ حُـــبُّ الـــشَّهادَهْ
مـــضى طوعـــاً إليهـــا مُطمئنَّـــاً ... ولـــمْ يَخـــشَ العـــدوَّ، ولا عِتَـــادَهْ
أذلَّ عـــــدوَّهُ، وأعـــــزَّ أُمَّـــــاً ... بحُـــبِّ المجـــدِ قـــدْ عَمَـــرَتْ فـــؤادَهْ

*****

ومـــا أبهـــى شـــروقَ الـــشَّمسِ أُمَّـــاً ... تُـــصحِّي كـــلَّ ذي أمـــلٍ وهِمَّـــهْ
فتـــصحو حـــينَ تُـــشرِقُ كائنـــاتٌ ... بهـــا حـــسنُ العـــوالِمِ مـــا أتَمَّـــهْ!
فأحـــسبُ صـــحوها تحنـــانَ أُمٍّ ... نَمَـــتْ أبناءهـــا فَغَـــدَوْا أئمَّـــهْ

*****

وكـــمْ أحيـــا الأمومَـــةَ في الطّيـــورِ ... تَهُـــبُّ لِرِزقِهـــا قبـــلَ الهجيـــرِ
حواصِـــلُها تخبِّـــئُ مـــا جَنَتْـــهُ ... لتُخرِجَـــهُ غـــذاءً للـــصّغيرِ
أليـــسَتْ هـــذهِ الأطيـــارُ أُمَّـــاً ... أبانَـــتْ رحمَـــةَ المـــولى القـــديرِ؟

*****

وفي عُمـــقِ البِحـــارِ وفي البـــراري عجائـــبُ مـــن صـــنوفِ الأُمَّهـــاتِ
يوحِـــــدُهنَّ إيثـــــارٌ وعطـــــفٌ وإنْ نَلْـــقَ اختلافـــاً في الـــصِّفاتِ
ولـــــولا أنهـــــنَّ يَلِـــدْنَ طوعـــاً لمـــا كُنَّـــا نَعِمنـــا في الحيـــاةِ

*****

ومـــا أحلـــى الزُّهـــورَ تفـــوحُ عِطـــراً فيُبهِـــجُ أنفُـــساً، ويطيـــبُ نـــشْرا!
ألـــيسَ العِطـــرُ يولـــدُ مـــن زهـــورٍ ألـــستَ تـــرى بـــهِ لـــلأُمِّ ســـرَّا؟
فلـــــولا أنَّ هـــــذا الزَّهـــــرَ أُمٌّ لمـــا كُنَّـــا شـــممنا الـــدَّهرَ عِطـــرا!

*****

وفي الأشـــجارِ ألمَـــحُ قلـــبَ أُمٍّ تجـــودُ كمـــا تعـــوّدَ أن يجـــودا
علـــى الأيّـــامِ يُعطـــي دونَ مَـــنٍّ ولـــيسَ يَمَـــلُّ إنْ نطلُـــبْ مزيـــدا
وخيـــرُ الجـــودِ جـــودٌ لا يُبـــالي بمـــا يلقـــاهُ مـــدحاً أو جحـــودا

*****

فجلَّـــتْ حِكمَـــةُ المـــولى تعـــالى وفِطرَتُـــهُ بخلـــقِ الأُمَّهـــاتِ
ويـــا بُـــشرى لَمَـــنْ رُزِقـــوا فـــؤاداً يـــرى مـــا في الأمومـــةِ مـــن عِظـــاتِ!
إذَنْ لَغَـــدَتْ عوالِمُنـــا جنانـــاً ونحـــنُ بِهِـــنَّ أرقـــى الكائنـــاتِ

*****

يريني حُـــبُّ أمِّـــي مـــا لأمِّـــي ورحمتِهـــا برحمـــةِ كـــلِّ أُمِّ
أُصـــوِّرها كمـــا أهـــوى، ولكـــنْ علـــى فقـــدي لهـــا يـــزدادُ غمِّـــي
ويُرجِعنـــي حنينـــي كـــي أراهـــا بمـــا أهـــواهُ في صـــحوي وحُلمـــي

*****

ويـــا لَحنـــانِ زوجٍ شـــاركتني هموماً صِـرنَ بعـضَ الـذّكرياتِ
فـــألقى في مودَّتِهـــا عزائـــي وأنـــسى في أمومَتِهـــا شـــكاتي
وأُبـــصِرُ حولَنـــا سِـــرباً جمـــيلاً نعـــيشُ بقربِـــهِ صـــفوَ الحيـــاةِ

*****

وتَرفُـــدُهُ حفيـــداتي بِـــدَلٍّ يزيـــدُ نعـــيمَ أُلفتِنـــا حُبـــورا
فَنَحـــسَبُ بيتَنـــا أمـــسى جِنانـــاً يمـــوجُ بهـــنَّ وِلـــداناً وحـــورا
وأحـــسَبُ أنَّ رَحْـــبَ الكـــون مُلكـــي وعُـــسرَ العـــيشِ نحيـــاهُ ســـرورا

*****

فـــأَذكُرُ فـــضلَ أُمٍّ أنجَبَتنـــي لأُنجِـــبَ مـــن بِهِـــمْ تحلـــو حيـــاتي
فلـــولا فـــضلُ أُمِّـــي لـــمْ تَجِـــدني أبـــاً يحيـــا بأســـمى العاطِفـــاتِ!
فأشـــكُرُ مـــن حبـــاني منـــهُ أُمَّـــاً أراهـــا في بَنِـــيَّ وفي بنـــاتي!

*****

بنـــاتي أربـــعٌ وبِهِـــنَّ أرجـــو مـــن الـــرَّحمنِ يـــومَ الـــدِّينِ عفـــوا
فهُـــنَّ اليـــومَ أحنـــى أُمَّهـــاتٍ فَهِمْـــنَ الـــدِّيْنَ تـــضحيةً وتقـــوى
وأحـــسَبُ كـــلَّ واحِـــدةٍ شـــفيعاً بهـــا أســـررتُ للـــرحمنِ نجـــوى!

*****

فيـــاالله كـــمْ أحيـــا ســـعيداً لأنَّ اللهَ أكرمنـــــي بهنَّـــــه
وأحـــسبُ أنّنـــي كرَّمـــتُ أُمِّـــي إذا حُبَّـــاً بهـــا أَكرمتُهنَّـــهْ
وأحـــسبُ أنَّ أُمِّـــي كرَّمتنـــي ببـــسمتِها لإكرامـــي لهُنَّـــهْ

*****

رضـــعتُ حليـــبَ والـــدتي فكانـــتْ مزاياهـــا الحبيبَـــةُ لـــي مزيَّـــهْ
ومـــا لأبـــي وجَـــدِّي مـــن ســـجايا تراهـــا صِـــرنَ لـــي أبـــداً سَـــجِيَّهْ
وهـــا أنـــا في بنِـــيَّ أرى امتـــدادي فجلَّـــتْ فِطـــرَةُ المـــولى الـــسّنيَّهْ

*****

حنـــانُ الأُمِّ يـــصنَعُ معجـــزاتٍ وغيـــرُ حنانِهـــا هيهـــاتَ يُجـــدي!
رحـــيمُ الَخلْـــقِ أودَعَ فيـــهِ سِـــرًّا بِـــهِ نُهـــدى إليـــهِ وفيـــهِ نَهـــدي
فمـــا غيـــرُ الأمومـــةِ مـــن ســـبيلٍ لنيـــلِ مكـــارمٍ وبنـــاءِ مجـــدِ

*****

قَـــضَتْ أُمِّـــي ولكنّـــي أراهـــا بكـــلِّ أُمومـــةٍ فـــأذوبُ شـــوْقا
وأحـــسبُها أمـــامي وهـــيَ تحنـــو علـــيَّ بلمـــسةٍ فأُميـــلُ عُنقـــا
أحـــاولُ أن أُقبِّلهـــا ولكـــنْ أُحِـــسُّ بمقلتـــي بالـــدمعِ غرقـــى

*****

أرى أمِّـــي البعيـــدَةَ في وجـــودي وفي إبـــداعِ مـــن يُعطـــي، ويبنـــي
وفي قلبـــي أراهـــا كُـــلَّ آنٍ وعنهـــا كـــلُّ مـــا في الكـــونِ يُنبـــي
فلـــولا أنَّهـــا ســـكَنَتْ بعينـــي لمـــا شـــاهَدتُ يومـــاً أيَّ حـــسنِ

*****

فيـــا مـــنْ شـــئتَ أنْ أحيـــا يتيمـــاً أَنِـــلْ أُمّـــي برحمتِـــكَ النّعيمـــا
فرحلتُهـــا إليـــكَ دليـــلُ حُـــبٍّ وإنْ يـــكُ بُعـــدُها عنِّـــي أليمـــا
فعوِضـــها بقـــربٍ منـــكَ ربِّـــي وحـــسبي أنْ دعـــوتُ بـــك الكريمـــا

*****

مقـــــامُ الأُمِّ عنـــــدَ اللهِ يـــــسمو فـــــلا يُدنيـــــهِ مهمـــــا رقَّ نظـــــمُ
فيـــا سِـــرَّ الأمومـــةِ ألـــفَ عُـــذرٍ إذا مـــا كـــانَ قـــصَّرَ عنـــكَ فَهـــمُ
ألـــيسَ رضـــا المهيمـــنِ في رِضـــاها أمـــا حـــسبي إذا مـــا قلـــتُ "أُمُّ"

*****

لمـــاذا؟

إلى كل من يتحرك في قلبه ووجدانه هذا النداء الإلهي الخالد (**تعالوا إلى كلمة سواء**) أهدي هذه القصيدة عسى أن نلتقي عليه فنكون من الناجين.

هرمـــتُ ولـــمْ أزلْ غـــضَّ الإهـــابِ ... ومـــا أقـــسى الكهولـــةَ في الـــشبابِ!
هرمـــتُ ولـــي صـــحابٌ لا تبـــالي ... بمـــا عانيـــتُ... عُـــذْراً يـــا صـــحابي!
كـــأنّي قـــد خُلِقـــتُ لكـــلِّ هـــمٍّ ... وقـــد خُلقـــوا لأحـــلامٍ عِـــذابِ!
حملـــتُ همـــومَ قـــومي وهـــي كثْـــرٌ ... وأصـــغرهنَّ أكبـــر مـــن حـــسابي
فقـــدّامي... وخلفـــي ألـــفُ هـــمٍّ ... وعـــن جنبـــيَّ آلافُ الـــصِّعابِ
ومـــن فـــوقي أُحِـــسُّ الجـــوَّ يهمـــي ... همومـــاً هـــنَّ أغـــزرُ مـــن ســـحابِ
وتحتـــي! آهِ مـــا أقـــسى شُـــعوري ... بحملـــي هـــمَّ ســـكَّانِ التـــرابِ!
فـــأينَ أَفـــرُّ مـــن همِّـــي.. ومـــن لـــي ... وهـــل لـــي غيـــرُ صـــبري، واحتـــسابي؟
ومـــا جـــدوى اصـــطباري والأمـــاني ... إذا وافـــتْ بـــدتْ مثـــلَ الـــسرابِ؟
غريبـــاً عـــشتُ في أهلـــي وصـــحبي ... وجهلهمـــو أشـــدُّ مـــن اغترابـــي
غريبـــاً عـــشتُ إلا عـــن همـــومي ... فهمِّـــي كـــانَ لـــي خيـــرَ الـــصِّحابِ
كـــأني وحـــديَ المـــسؤولُ عمّـــا ... يعـــاني منـــه كـــلُّ أخـــي عـــذابِ
كـــأني عـــن مـــصائبِ مـــن تولّـــوْا ... أنـــا المعنـــيُّ وحـــدي بالمـــصابِ

فأمسي ليس لي منه نصيبٌ ... سوى ما كانَ من خزيٍ وعابِ
وليس غدي المرجَّى غيرَ رعْبٍ ... يطارد في دمي قبس ارتقابي
أحاسب عن أسى زيدٍ وعمروٍ ... وليسا من ذويَّ، ولا صِحابي
وأدفع ديْنَ مَنْ مِنْ ألفِ عامٍ ... قضى لمّا تغزَّل بالربابِ
وخادمُ جدِّه سرقتْ رغيفاً ... فَسُدِّدَ ألفَ رطلٍ من حسابي
لماذا هكذا أحيا لماذا؟! ... ويُسلِمني العجيبُ إلى العجابِ؟
لماذا هكذا أمشي برغمي ... إلى عرسي على حدِّ الحرابِ؟!
وأَحملُ راغماً أعباءَ قومٍ ... جِهاراً خالفوا كلَّ الصَّوابِ
لماذا وحدنا نحيا حيارى ... نسيرُ من اضطرابٍ لاضطرابِ؟
لماذا؟ أو إلامَ نظلُّ نحيا ... ضياعاً في التشعُّبِ، والشِّعابِ؟
ويطحنُ عمرَنا خُلْفٌ تقضَّى ... ولم نحصدْ بهِ غيرَ الخرابِ!!
أسى الماضي لماذا ظلَّ شَهْداً ... يسيلُ لذكرِهِ كلُّ اللعابِ؟!
لماذا وحدَها الأحقادُ كانت ... وما زالت ألذَّ من الرضابِ؟!
علامَ نشمُّ نَتْنَ الأمسِ طيباً ... وننسبُ كلَّ نتْنٍ للمَلابِ؟!
ونجترُّ السخيفَ من المعاني ... ولا نُخزى من الحُجَجِ الرِّتابِ!
نُعطِّلُ عقلنا، ونظلُّ نشكو ... بأنَّ الحظَّ ملعونٌ وكابِ
وأنَّ على السماءِ وليسَ إلاّ ... عليها أن نُوفّق للصوابِ
تنابلةً ترانا في الزَّوايا ... نفكِّرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ

نُحـــرَّكُ حـــينَ لا يُجـــدي فتـــيلاً ... تحرُّكنـــــا ... فنُهـــــرعُ للإيـــــابِ
وإن كـــانَ الإيـــابُ لنـــا مفيـــداً ... ترانـــا عـــازمينَ علـــى الذَّهـــابِ
بـــصدرِ الأهـــلِ نُغْمِـــدُ كـــلَّ ســـيفٍ ... ونمـــضي للمعـــارك بالقِـــرابِ
ولـــم نأبـــهْ لِمـــا ســـيقالُ عنَّـــا ... غـــداً مـــن رأيِ أنجـــالٍ نِجـــابِ
ســـنبقى سُـــبَّةً أنَّـــى ذُكرنـــا ... ونُلْعـــنُ لعْـــنَ مفتخـــرٍ بعـــابِ
وتلفـــظ ذكرَنـــا الأجيـــالُ لفظـــاً ... كمـــا المعـــسول يلفـــظُ طعـــمَ صـــابِ

*****

أخـــي الإنـــسانُ هـــذا بعـــضُ همِّـــي ... أتـــاكَ اليـــوم... لكـــنْ باقتـــضابِ
لمـــاذا كـــلُّ هـــذا الهـــمِّ يحيـــا ... بقلبـــي... ثمَّ يمعـــنُ في اســـتلابي؟!
إذا هجـــعَ الأنـــامُ أعـــيشُ ســـهدي ... ويـــأتيني الأســـى مـــن كـــلِّ بـــابِ
تُعطِّـــلُ كـــلَّ جارحـــةٍ همـــومي ... وتمعـــــنُ في أذايَ وفي انتهـــــابي
ولـــي مـــن قـــدرةِ الخـــلاَّقِ عـــزْمٌ ... وفكـــرٌ دونـــهُ وَقْـــدُ الـــشِّهابِ
ولكـــنْ قـــد تعطَّـــل كـــلُّ مـــا بـــي ... لمـــاذا لا أرى أدنـــى جـــوابِ؟!
فـــلا أنـــا قاتـــلٌ عمـــرًا بـــسيفي ... ولا عثمـــانَ أردتـــهُ حِرابـــي
ولا جـــدِّي معاويـــةُ بـــنُ حـــرْبٍ ... ولا لعلـــيٍّ الأتقـــى انتـــسابي
ولـــم أكُ يـــومَ صـــفّينٍ، شـــهيداً ... ولـــم أكُ قـــطُّ في النَّفـــرِ الغـــضابِ
ولا رضـــيتْ رَضـــاعَ الخلـــفِ نفـــسي ... ولـــم يـــكُ مـــن مآســـيه احتلابـــي
ولـــم آمـــرْ بنـــي العبَّـــاسِ أمـــراً ... بـــهِ عمـــدوا إلـــى أعتـــى انقـــلابِ

ومـــا أنـــا للـــشعوبيين صـــوتٌ ... ولا بالفـــاطميِّ، ولا الجِنـــابي

ولـــم أُشَـــركْ، ولـــم أعمـــلْ بحلـــفٍ ... بـــهِ جنحـــوا لـــسلمٍ أو ضـــرابِ

ولا ضـــاعت خلافتنـــا برأيـــي ... ولا وقَّعـــتُ صـــكًّا لانتـــدابِ

ولا ســـلَّمتُ للأعـــداءِ قُدســـي ... ولا ســـتَّرتُ شمـــساً بالـــضبابِ

ولـــم أكُ قـــطُّ في يـــومٍ عميـــلا ... لـــشرْقٍ ضـــلَّ، أو غـــربٍ مرابـــي

ولا متعـــصِّباً يومـــاً لحـــزبٍ ... ولـــم أكُ قَـــطُّ ذا ظفـــرٍ ونـــابِ

ولـــم أظلِـــمْ، ولـــم أقبـــلْ بظلـــمٍ ... ولـــم أحْثُـــثْ لمخجلـــةٍ ركـــابي

فتحـــتُ لكـــلِّ إنـــسانٍ فـــؤادي ... ومـــا بـــدّلتُ في يـــومٍ إهـــابي

طرحـــتُ جميـــعَ أســـباب التَّعـــادي ... وأبقيـــتُ المـــودّةَ مـــن رغـــابي

إلـــى مـــا قبـــلَ هـــذا الخلْـــفِ أرنـــو ... وأنهـــلُ مـــن مناهلِـــه العِـــذابِ

فـــذاكَ العهـــدُ لـــيسَ ســـواهُ عهـــدٌ ... جـــديرٌ باتّبـــاعٍ، وانتـــسابِ

فمـــنْ أنـــا حـــين يُـــذكرُ تـــابعيٌّ! ... مَـــنِ العلمـــاءُ إن يُـــذْكرْ صَـــحابي؟!

فهـــم أدنـــى إلـــى النَّبـــعِ المُـــصفَّى ... ومنـــه قـــد سُـــقوا أصـــفى الـــشرابِ

وهـــم أدرى بمـــا قـــد كـــانَ مـــنهم ... وهـــم أقـــوى علـــى فهـــمِ الكتـــابِ

إذا كنَّـــا الـــشموعَ فهـــم شـــموسٌ ... وضـــوء الـــشَّمعِ عنـــدَ الـــشَّمسِ خـــابِ

وأدنـــى التـــابعين أراه أعلـــى ... مقامـــاً مـــن ســـؤالي، أو عتـــابي

فلـــيس بنـــافعي شـــتْمُ "ابـــنِ أنثـــى" ... ولـــيس عليـــه يجديـــه انتحـــابي

ولا هـــذا ســـينفعني هـــواه ... ولا ذيّـــاكَ يحمـــلُ بعـــضَ مـــا بـــي

ولـــــست أســـــبُّهم، وأرى ســـــفيهاً ... يـــسبُّ النـــاسَ أوْلـــى بالـــسِّبابِ

ولـست أعيـبُ مـن سـبقوا فهـم لـي ... جـــــذورٌ في تجـــــذُّرها انتـــــصابي

هـــم اجتهـــدوا وصـــاروا عنـــد ربٍّ ... علـــيمٍ لـــيس يجهـــلُ، أو يُحـــابي

ولـــيس لغيـــرِ ربِّ العـــرشِ حكـــمٌ ... بـــأمرِهِمو إلـــى يـــومِ الحـــسابِ

لهـــم أعمـــالُهم، ولكـــلٍّ حـــرٍّ ... أريـــبٍ أن يظـــلَّ علـــى الـــصوابِ

خلافـــاتٌ مـــضتْ، ومـــضى ذووهـــا ... وصـــاروا تحـــتَ أطبـــاقِ التُّـــرابِ

حـــسابي عنهمـــو طغيـــانُ طـــاغٍ ... يحـــاكمني علـــى لـــوْنِ الغـــرابِ

وكـــلُّ خـــصومةٍ فـــيهم أراهـــا ... حماقـــةَ جاهـــلٍ، وجنـــوحَ صـــابي

غبـــاءٌ أن ينـــالَ الجـــذرَ فـــرعٌ ... وإنكـــارِ الجـــذورِ مـــن التَّغـــابي

علـــى قـــدْرِ انغمـــاسِ الجـــذرِ تعلـــو ... وتخـــضرُّ الفـــروعُ بكـــلِّ غـــابِ

ســـوى أرضـــي التـــي كانـــت جِنانـــاً ... أحلناهـــا إلـــى قفـــرٍ يبـــابِ

وإن تَعْـــرَ الجـــذورُ فكـــلُّ فـــرعٍ ... تجـــدّهُ صـــارَ أجـــدرَ باحتطـــابِ

وإنَّ الجـــذر إن تتركْـــهَ يعمُـــقْ ... ويُطلِـــعْ ألـــفَ فـــرعٍ للـــسحابِ

*****

أخـــي عـــذراً إذا مـــا الـــنفسُ فاضـــتْ ... وجـــاءَ علـــى جوانبِهـــا انـــسكابي

ســـؤالاتٌ بهـــا قـــد ضِـــقتُ ذرعـــاً ... وطـــال بهـــا احتباســـي واحتـــسابي

لمـــاذا الـــصدقُ قـــد أمـــسى غريبـــاً ... ولـــيس يـــسرُّنا غيـــرُ الكـــذابِ؟!

لمـــاذا أصـــبحَ الإيمـــانُ ذنبـــاً ... يقـــودَ المـــؤمنينَ إلـــى التَّبـــابِ؟!

نـــصاحِبُ كـــلَّ ذي حِقـــدٍ دفـــينٍ ونـــستعدي الـــويْلَ مـــن الـــصِّحابِ
ونـــــسترعي لنعجتنـــــا ذئابـــــاً لنـــشجبَ عاليـــاً غـــدرَ الـــذئابِ
ونقتـــلَ خيلَنـــا في اللَّهـــوِ قـــتلاً ونـــسرجُ في الـــوغى ظهـــرَ الكـــلابِ
ونقبـــلُ كـــلَّ مـــا يـــأتي إلَينـــا وإن يـــكُ فيـــه إذلالُ الرِّقـــابِ
ونُعفـــي نفـــسَنا مـــن كـــلِّ ســـعيٍ ونَقْنَـــعُ بالطعـــامِ وبالثيـــابِ
ولا ممّـــا نـــسجناهُ لِبـــسنا ولا بزروعِنـــا ازدهـــتِ الرَّوابـــي
ونـــشربُ ألـــفَ لـــونٍ مـــن شـــرابٍ ومـــن معـــصورِنا خَلَـــت الخـــوابي
بأيدينـــا هدمنـــا كـــلَّ قـــصرٍ ورثنـــاهُ... لنحيـــا في الخـــرابِ
لمـــاذا يـــا بنـــي قـــومي لمـــاذا؟! نُـــصِرُّ علـــى معـــاداةِ الـــصوابِ!
لمـــاذا لعنـــةُ التـــاريخِ كانـــت ومـــا زالـــت علينـــا في انـــصبابِ؟!
لمـــاذا لا نُـــري الأجيـــالَ أنّـــا لنـــا عقـــلٌ علـــى الأحقـــادِ رابِ؟!
وأنّـــا قـــد تجاوزنـــا أسانـــا وعِـــشنا في نعـــيم الاقتِـــرابِ؟!
وأرسينـــا الـــسفينةَ في أمـــانٍ ولـــم نحْفِـــل بتـــصْحابِ العبـــابِ؟!
رفـــضنا عبـــرةَ التـــاريخ رفـــضاً وكنّـــا عـــن هُداهـــا في غيـــابِ
كتبنـــا ألـــف سِـــفرٍ عـــن أسانـــا ولـــم نـــعِ نـــصْفَ ســـطرٍ مـــن كتـــابِ
فكنّـــا لعنـــةَ الـــدنيا وأخـــزى بَنيهـــا... والمزيـــدُ علـــى الحـــسابِ

*****

برئـــتُ إليـــكَ يـــا ربَّـــاه ممّـــا ... أثـــارَ شـــجونَ نفـــسي وارتيـــابي
برئـــتُ إليـــكَ مـــن أعمـــالِ قـــومي ... ومـــا هُـــمْ فيـــهِ مـــن خُلـــفٍ وعـــابِ
وحـــسبي أنَّنـــي مـــا كنـــتُ يومـــاً ... أُقِـــرُّ بمـــا أراهُ، ولا أحـــابي
وأنـــي مـــا رضـــيتُ ســـوى التـــسامي ... ولا أرســـلتُ مـــن حقـــدٍ عتـــابي
حمَلـــتُ همـــومَ قـــومي مطمئنـــاً ... ولـــمْ آبَـــهْ لآلافِ الـــصِّعابِ
وأغـــربُ مـــن عـــذابي أنَّ نفـــسي ... تـــرى كـــلَّ الـــسعادة في عـــذابي
ألـــيسَ عـــذابُها في حـــبِّ قـــومي ... ألـــذَّ إلـــيَّ مـــن رشْـــفِ الرضـــابِ؟!
حملـــتُ همـــومَهم... ونـــسيتُ همّـــي ... ومـــا حمَّلـــتُ قـــومي بعـــضَ مـــا بـــي
ولـــم أطلـــبْ، ولـــستُ اليـــومَ أرجـــو ... لمـــا عانيْتُـــه أدنـــى ثـــوابِ
مُنـــايَ بـــأن نعـــيش بكـــلِّ حـــبٍّ ... وإخلاصـــي لِمـــا أرجـــوه دابـــي
يـــرودُ جميعُنـــا النبـــعَ المـــصفَّى ... فتـــصفو النَّفـــسُ كـــالتِّبر المـــذابِ
ونطـــرحُ كـــلَّ شـــائبةٍ بعيـــداً ... وأيُّ الخيـــرِ في العَكِـــرِ "المـــشابِ"؟!
عـــسانا ننقـــذُ الدُّنيـــا، ونمـــضي ... بهـــا مـــن ضيقِهـــا نحـــوَ الرِّحـــابِ!
أُنـــادي كـــلَّ إنـــسانٍ لنهجـــي ... عـــسانا نلتقـــي عنـــد اللّبـــابِ!!
دعـــوتُ وكنـــتُ مبتـــدئاً بنفـــسي ... وإن أكُ بعـــدُ لـــمْ أبلـــغْ نـــصابي
فلـــستُ لغيـــرِ مـــن صـــدقوا حفيـــداً ... ولـــيس لغيـــرِ مـــن صـــلحوا انتـــسابي
ولـــستُ بقـــانعٍ أبـــداً بـــدينٍ ... يكـــون بـــه التفـــرُّق والتَّـــصابي
أحـــبُّ جميـــعَ مـــن صـــدقوا، وضـــحُّوا ... وعاشـــوا مـــؤمنينَ بـــلا ارتيـــابِ
فهـــم أهلـــي، وهـــم ســـندي، وذُخـــري ... وعزَّتهـــم وإن بَعُـــدوا طِلابـــي

*****

أخـــي الإنـــسان عـــذراً مـــن بيـــانٍ ... بـــهِ حاولـــتُ زحزحـــةَ النِّقـــابِ
تركـــتُ لريـــشتي التعبيـــرَ عمَّـــا ... أُحـــسُّ... فجـــاءَ مـــن قلبـــي خطـــابي
وجئـــتُ مـــسائلاً قـــومي لمـــاذا ... عـــسى بـــ (لمـــاذتي) هتـــكُ الحجـــابِ!
لمـــاذا؟! لا تقُـــلْ أبـــداً لمـــاذا ... فأخـــشى أن تظـــلَّ بـــلا جـــوابِ!
لمـــاذا؟! آهِ لـــو نـــدري لمـــاذا ... ومـــاذا لـــو غـــدتْ عـــودَ الثُّقـــابِ؟!

*****

لمـــاذا يـــا أخـــي الإنـــسانْ قُـــل لـــي ... فَقَـــدنا كـــلَّ حـــسٍّ بالمـــصابِ؟!
لمـــاذا نفـــسُنا عـــشِقت أســـاها ... وصـــار القلـــبُ كالـــصمِّ الـــصِلابِ؟!
لأنّـــا قـــد رفـــضنا الـــدِّينَ نهجـــاً ... غَـــدَونا أذؤبـــاً تحيـــا بغـــابِ
ويلقـــى مـــن أخيـــه الـــذئبُ عطفـــاً ... ولـــيسَ بقلبِنـــا عطـــفُ الـــذئابِ
لمـــاذا؟ ألـــفُ ألـــفٍ مـــن لمـــاذا ... وأدنـــاهُنَّ تفـــتح ألـــفَ بـــابِ
برئـــتُ إليـــكَ يـــا ربّـــاهُ منهـــا ... وممّـــا قـــد أضـــعتُ بـــه شـــبابي
وجئـــتُ إليـــك معتـــذراً منيبـــاً ... فَجُـــدْ لـــي يـــا إلهـــي بالمتـــابِ
وردَّ القـــــوم ربّـــــي لاتحـــــادٍ ... علـــى التوحيـــدِ مرفـــوعَ الجنـــابِ
ويـــا ربّـــاه... يـــا رحمـــنُ كُـــنْ لـــي ... بحقِّـــك غـــافراً يـــومَ الحـــسابِ

أخـا البيـان

أشـعِلْ بيانَـكَ واسـتنهِضْ بـه الهِممـا ... قــد آنَ أنْ لا نــرى شِـركًا، ولا صَـنَما
كفــاكَ هَدهَــدَةً فــالجُرحُ مــستَعِرٌ ... واهًــا لجُــرحٍ علــى ذُلٍّ إذا التأمــا!
صُــبَّ اللهيــبَ بجــرحٍ لا شــفاءَ لــهُ ... هيهــاتَ تلقــى ذلــيلاً يــشتكي الألمــا
آمنــتُ بــالألم العِمــلاقِ يُبــدِعُنا ... وأبعَــدَ اللهُ مــن أبــدى لــه سَــأما
أخــا البيــانِ ومــا أحــراكَ مــن رجُــلٍ ... يــروي علــى ظمــأٍ مــن يــشتكون ظمــا!
وهــل كــآلامِ مــن قــد أبــدعوا ألــمٌ ... مــا كــان أقساهُ لــو لــم يملكــوا القَلَمــا!
وغربــةُ الــشَّاعرِ الإنــسانِ موجِعــةٌ ... فاقــتْ بمــا أورثتــهُ الفقــرَ والــصَّمما
كــم عــاشَ أهــلُ الغِنــى دنيــاهمو قلَقًــا ... وعاشَــها مُطمــئنَّ الــنَّفسِ مُبتَــسِما!
والجهــلُ أوجــعُ مــا عانــاهُ مــن وجــعٍ ... وأوجــعُ الجهــلِ أن يــأتي مــن العُلَمــا

*****

أخــا البيــانِ المُــصفَّى، والبيــانُ هــدىً ... مــن ضــلَّ عنــهُ فهَــلْ إلاهُ أهــلُ عمــى!
دهــرٌ رمانــا فــأردى كُــلَّ جارِحــةٍ ... إلا الإبــاءُ تــأبَّى عنــهُ حــينَ رمــى!
تجمَّــعَ الحِقــدُ مُرخــاةً أعِنَّتُــهُ ... وضــجَّ بالبــابِ محمومًــا، ومُحتَــدِما
عِــشْنا لجولاتــهِ رُصَّــادَها أبــدًا ... ولــم يَجِــدْ بيننــا مــن مــلَّ، أو نَــدِما
مــن عهــدِ آدمَ نحــنُ الــصَّامِدونَ لــهُ ... بمثــلِ إيماننــا بــالحقِّ مــا صُــدِما
يختــارُ ربُّــكَ للأجيــالِ قادَتَهــا ... وخــصَّنا مــن لَدُنْــهُ اللهُ وحــيَ ســما

لنـــا تعـــاليمُ كـــلِّ الأنبيـــاءِ، لنـــا ... وعـــدُ الإلـــهِ... لنـــا أنْ نُنقِـــذَ الأممـــا
إنْ كـــانَ أعطـــى ســـوانا فَـــضْلَ صـــنعَتِهِ ... فـــنحنُ مـــن عَلَّـــمَ التَّـــشريعَ، والنُّظَمـــا
عِـــشْنا لآلامِ أهـــلِ الأرضِ نُبرِئُهـــا ... فـــنحنُ مـــن أمرُنـــا في بُرْئِهـــا عَظُمـــا
آمنـــتُ بـــالحقِّ يُحيـــي الأرضَ قائمُـــهُ ... وكـــمْ يفـــوقُ بمـــا يُحيـــي بهـــا الـــدِّيما!
لـــنْ يُـــصلِحَ الكـــونَ صـــاروخٌ، ومِطرقَـــةٌ ... لـــو دامَ أمرُهُمـــا في ســـاعةٍ هُـــدِما

*****

أخـــا البيـــانِ عجيـــبٌ أمـــرُ عالَمِنـــا ... عـــادى هُـــداهُ جِهـــارًا، وازدرى القِيَمـــا
لـــمْ يبـــقَ للحـــقِّ مـــن كـــفٍّ تُـــساندُهُ ... هـــمُّ القـــويِّ غـــدا أنْ يُكثِـــرَ الغَنَمـــا
تفنـــى شـــعوبٌ، ولا تهتـــزُّ إصـــبعُهُ ... وكـــانَ أنقَـــذَها لـــو حـــرَّكَ القَلَمـــا
أيـــنَ الحقـــوقُ التـــي نـــادى بِحُرمَتِهـــا ... فمـــا تراهـــا تعـــدَّتْ قـــولَ: لا جَرَمـــا!
أحـــلافُ شـــرٍّ علـــى الطَّـــاغوتِ قائمـــةٌ ... مـــا ســـاءَها لـــو غرِقنـــا في بحـــورِ دِمـــا
لـــو أنـــصَفَتْ ســـاعةً لارتـــاحَ عالَمُنـــا ... ومـــا رأيـــتَ بـــه مـــن يـــشتكي العَـــدَما
أليسَ في القُـدْسِ أطفـالٌ تُبـادُ ضـحىً ... ولا يُـــلامُ الـــذي يُـــصلِيهِمو حُمَمَـــا!
أدنى الحقوقِ بأدنى العيشِ قد حُرِموا ... وقاتِـــلُ الحـــقِّ يلقـــى فـــوقَ مـــا حَلُمـــا
أليسَ يقضي بنـو الصُّومالِ مـن سغبٍ ... وإنْ يُغـــاثوا رأينـــا غـــوثَهُمْ نِقَمـــا!
أليسَ في الهِرْسِـكِ الإفنـاءُ مـستَعِرًا؟ ... ومجلـسُ الأمـنِ فيـه بَعْـدُ مـا عَلِمـا!
أليـــسَ في كـــلِّ أرضٍ ألـــفُ مظلمـــةٍ؟ ... ولـــيسَ إلا أخـــو الإيمـــانِ مـــن ظُلِمـــا!
مـــساعداتٌ علـــى التَّقتيـــلِ وافـــرةٌ ... لِمـــنْ يـــشاءُ، وإلَّاهـــا فقـــد لُجِمـــا

في كلِّ يومٍ ألوفُ الصَّارِخاتِ سُدىً ... ألمْ يَحِنْ أنْ نرى في الكونِ مُعتَصِما؟

أينَ العدالةُ يقضي عالمٌ سغَبًا ... ومُدَّعوها غَدوْا من سلْبِهِ تُخَما!

أينَ التُّقاةُ، وأين الأهلُ، أينَ أخو ... دِينٍ، ومالٍ يُرينا دِينَهُ كَرَما؟

إلى متى يا بني قومي تَفَرُّقُنا ... أما شبِعنا من الإذلالِ... ألفُ أما؟

ألمْ نَكُنْ خيرَ من عزُّوا، ومن نصروا ... ومنْ رَعوْا للأعادي الحقَّ والذِّمما!

عِشْنا وعاشَ بنو الدُّنيا سواسيةً ... بِنهجِنا الحقِّ قد صاروا لنا رَحِما

لو نحنُ عُدْنا لما شاهَدْتَ مَظْلَمَةً ... ولا رأيتَ سوى من فازَ، أو غَنِما

غداً نعودُ، وما أشقاهُ عالَمُنا ... إنْ لمْ نَعُدْ ونُزيلُ الظُّلْمَ والوَخَما

فالدِّينُ في النَّاسِ إيثارٌ، ومرحمةٌ ... ما كانَ في النَّاسِ إلا أهلُهُ رُحَما

دينُ الإلهِ براءٌ من تَسَلُّطِنا ... والخُلْفُ فيه ببيداءِ الضَّلالِ نما

ومارِقٌ من أحالَ الدِّينَ مصلَحَةً ... وأكفرُ النَّاسِ من قد حرَّفوا الكَلِما

أيُّ الدِّياناتِ جاءت للدَّمارِ، ومنْ ... يرضى بربٍّ ودِينٍ جاءَ مُنتَقِما؟

قُمْ ساعةً وتأمَلْ... هل ترى أملاً ... إلا بنورِ الهُدى أن نكشِفَ الظُّلَما!

طالَ الشَّقاءُ بهذا الكونِ خالِقَهُ ... وضجَّ لمَّا غدا أحرارُهُ خَدَما

والنَّاسُ ساهونَ أعمَتْهُمْ لذائذُهمْ ... وشرُّ ما حصدَ الإنسانُ ما وصَمَا

ومن تربَّى وذُلُّ الحِقدِ في دَمِهِ ... هيهاتَ يُكبِرُ فينا الكِبرَ، والكَرَما

*****

أخـا البيـانِ المُـصفَّى دعْـكَ مـن جَـدَلٍ ... ودَعْـكَ مِمَّـنْ غَـدَوْا للتُّرَّهـاتِ حِمـى

أمـا جعلنـا جحـيمَ الحُـبِّ جنَّتَنـا ... ليَقطِـفَ النَّـاسُ مـن أفنانِنـا النِّعَمـا؟

لـمْ تُـوْهِ عَزْمَتُنـا آلامَ أمَّتِنـا ... أكْـرِمْ بآلامِهـا كـمْ فجَّـرَتْ هِمَمـا!

نبقـى الهُـداةَ... ونبقـى الأوفيـاءَ لهـا ... وخـابَ فَـدْمٌ رأى تاريخَنـا خُتِمـا

إنَّـا علـى عَهـدِنا نحيـا رسـالَتَنا ... لا بـاركَ اللهُ مـن قـد ضـلَّ... لا سَـلِما

محبَّـةُ اللهُ نـورٌ في جوانِحِنـا ... وليـتَ ليـتَ عليهـا شَـملَنا التأمـا

وطاعَـةُ الرُّسـلِ تبقـى زادَ رحلَتِنـا ... عيـسى وأحمـدُ... هـل زادٌ كحُبِّهِمـا؟!

عيسى هـو الحـبُّ تجلُـو النَّفسَ سيرَتُهُ ... وأحمـدٌ لـمْ يـدَعْ شِـركًا، ولا صَـنَما

مـا أهنَـأَ القلـبَ مـشغولاً بِحُبِّهِمـا ... وأسـعدَ الكـونَ مهـدِيًّا بهَـدْيِهِما!

إنْ عـزَّ للنَّـاسِ منجـاةٌ ومعتَـصَمٌ ... أكْـرِمْ بمـا علَّمـا منجـىً، ومُعتَـصَما

*****

أخـا البيـانِ وعفـوَ البـوحِ عـن زُمَـرٍ ... خـانوا الأصـيلَ، وكـانوا للهجـينِ فَمـا

صِنفانِ من جَحَدوا الفصحى وروعَتَها ... لا بـارِكَ اللهُ مـن يرضـونَ غَيَّهُمـا

صِـنفٌ أضـلَّ، وصِـنفٌ ضـلَّ مُنبَهِـرًا ... وأعجـبُ الأمـرِ مِمَّـنْ روَّجـوا لَهُمـا

الجاحِـدانِ بمـا للـشعرِ مـن قـيمٍ ... همـا الـشَّقيَّانِ في عُـرسِ الإبـاءِ هُمـا

والمُنكِـرونَ علينـا مـا نـرى قيمًـا ... مـا ضـرَّ قيمَتَهـا مـن أنكَـرَ القيَمـا!

مـن لـمْ يَكُـنْ مُخلِـصًا للهِ غايَتَـهُ ... فمـا ابتغـى بعـدَهُ إلا ابتغـى صَـنَما

*****

أخـا البيـانِ المُـصَفَّى والبيـانُ لظـىً ... إذا غَـضِبنا تـشظَّى وارتمـى حُمَمـا
لا نـستكينُ لطـاغٍ، لا نُقـيمُ لـهُ ... وزنًـا، ونجعَـلُ مَهْـرَ الأمنيـاتِ دمـا
أمـا كَتَبنـا؟! أمـا سـالتْ حناجِرُنـا ... شِـعرًا يُعيـدُ أخـا الإذلالِ مُقتَحِمـا!
أمـا نَهَـضْنا بمـا أملَـتْ رسـالَتُنا ... وتـشهدُ الـدَّربُ كـمْ أدْمَـتْ لنـا قَـدَما
أمـا خَلُـصْنا لآمـالٍ لنـا عَظُمَـتْ ... متـى تناسـى همـومَ الأمَّـةِ العُظَمـا!

*****

أخـا البيـانِ ومـا في الـصَّمتِ مَنفَعَـةٌ ... وخـابَ مـن ظـنَّ قـد أخفـى بـهِ حِكَمـا
أشـعِلْ بيانَـكَ بـئسَ الـصَّمتُ مُلتَجَـأً ... وبـئسَ قـولٌ يزيـدُ الحـالِمينَ عمـى
فـرُبَّ جـذوَةِ نـارٍ أشـعَلَتْ سَـقَرًا ... ورُبَّ قولـةِ حـقٍّ حـرَّرَتْ أمَمـا
أخـا البيـانِ وكـمْ في العـودِ مـن نَغَـمٍ ... إنْ لـمْ تُحرِّكْـهُ لـن تلقـى بـهِ نَغَمـا
لا يُرهِـبُ الظَّـالِمَ الطَّـاغي كرؤيتِـهِ ... ثغْـرَ الـضَّحيَّةِ رغـمَ الهـولِ مُبتَـسِما
فبـسمةُ الحـقِّ فجـرٌ لا يُطـاقُ لـهُ ... ردٌّ... ولـو حـشدوا في وجهِـهِ الظُّلَمـا
لا يفْـرَحَنْ مـن رأى شـعبي وفرقَتَـهُ ... فكـمْ تفـرَّقَ قبـلَ اليـومِ، وانقـسما!
وكـمْ تمـسَّكَ بـالوثقى فعـادَ بهـا ... كأنَّـهُ مـا رأى ذُلاً ولا انفـصَما!
تُبلـى الـشُّعوبُ علـى مقـدارِ قيمَتِهـا ... يفنـى الخليطُ وتلقـى التِّبـرَ قـد سَلِما
نحـنُ الأُلـى في عميـقِ الـدَّهر جـذرُهُمو ... وكمْ ترى الفرعَ من عُمقِ الجُذورِ نما!
غـدًا ستُـشرِقُ شـمسٌ بعـدَ هَجْعَتِهـا ... وأخـسرُ النَّـاسِ عنـدَ اللهِ مـن ظَلَمـا

*****

أنـا هنـا في الإمـاراتِ التـي اتّحـدتْ علـى الإبـاءِ وسـارتْ للعـلا قُـدَما
حملَـتُ زهـوَ شـموخِ الـشَّامِ قافيـةً علـى فَـمِ الـدَّهرِ يبقـى وقعُهـا نَغَمـا
لـم يَنْـبُ في الـشَّامِ سيفٌ، لا ولا تعبَـتْ فيها الخيولُ التي لمْ تَعرِفِ اللُّجُما
للـضَّادِ.. للحـقِّ.. للإسـلامِ سـيرتُها اللهُ للـشَّامِ كـمْ صـانتْ لنـا الـشَّمما!
طريـفُ أمجادِهـا الزَّاهـي بتالِـدِهِ سِلمًا وحربًا كما شاءَ العُلا انسَجَما
قد أقْسَمَتْ . وحفاظُ العهدِ قِسمَتُها . وأينَ كالشَّامِ من صانَتْ لنا الذِّمما!
لا، لـن تقـومَ لـسِلمِ الـذُّلِّ قائمـةٌ ولـن يكـونَ عـدوٌّ الأمَّـةِ الحَكَمـا

*****

ماتَ الكبار

كانَ استيقاظاً مفاجِئاً على حلمٍ جميل، وعندما عدتُ إلى النومِ نامت تحت رأسي هذه القصيدة وجاء بعدها مؤتمر "القمّة" في بيروت ليجيء مقطعها قبل الأخير، (وإن من الأحلام ما يتوقَّعُ)، وقد نُشرت في جريدة الوحدوي الدمشقيّة العدد (٣١).

كبّـــرِ الله مـــاتَ فينـــا الكبـــارُ ... فاشـــرأبتْ تحمـــي حمانـــا الـــصغارُ

لـــم يَعُـــدْ للكبـــارِ يُـــنظمُ شـــعرٌ ... لا، ولا يُرهـــبُ الـــصِّغارَ احتقـــارُ

واســـتراحتْ مـــن النّفـــاقِ القـــوافي ... واطمأنَّـــتْ مـــن خوفِهـــا الأعـــذارُ

لـــم تعُـــدْ تُقنِـــعُ الـــشعوبَ وعـــودٌ ... لا، ولا يَخـــدَعُ الـــشعوبَ شعـــارُ

أوَمـــا أصـــبحَ الـــصغارُ كبـــاراً ... حينمـــا أرهـــبَ الكبـــارَ نِفـــارُ؟

مـــا افتقـــدنا غيـــرَ المذلَّـــةِ لمّـــا ... راحَ عنَّـــا إلـــى الجحـــيمِ الكبـــارُ

ذابَ ثلـــجٌ غطّـــى علـــيهم فهـــا هـــم ... نـــتَنٌ كـــلُّ كبرِهـــم، وصَـــغَارُ

كبـــرهُم لـــم يكُـــن ســـوى كـــومِ تـــبنٍ ... في فـــلاةٍ وأشـــعِلتْ فيـــه نـــارُ

مـــن بـــصاقِ الأحـــلافِ يهمـــي علـــيهم ... قرفًـــا أنتنـــوا، ومـــلَّ العـــارُ

هكـــذا الحلـــمُ قـــد أتـــاني بـــشيراً ... ومـــن الحُلـــمِ يعـــذُبُ استبـــشارُ

هـــم علـــى الأهـــلِ بأسُـــهمْ جبّـــارُ ... ولـــدى البـــأس كلُّهـــم خـــوّارُ

قـــد أراحـــوا الأعـــداءَ مـــن قتْـــلِ قـــومي ... فعلـــى قومِنـــا الحـــروبُ تُـــدارُ

مـــاتَ فينـــا احترامُهـــم فهـــمُ المـــوتى وإن لـــمْ يـــوارِهم قَبَّـــارُ
واضِعوهـــم علـــى الكراســـيِّ أبقـــوْهم عليهـــا لأنهـــم أصـــفارُ
جُـــسِّدتْ فـــيهمُ المذلّـــةُ حتـــى نتـــشفّى.. وطالـــتِ الأعمـــارُ
انظـــروهم خلـــفَ المعاقـــل تـــأبى أن تـــرى شـــؤمَ وجهِهـــم أنظـــارُ
أنتنـــوا.. ضـــجّتْ الكراســـيُّ مـــنهم وانتقامـــاً مـــنهمُ فـــلا تنهـــارُ
حكمـــةُ اللهِ أن نـــراهم - كمـــا نهـــوى - أذلاّءَ مـــا لهـــم أنـــصارُ
ملـــؤوا الأرضَ بالـــسلاحِ وذلّـــوا بـــسلاحٍ عـــلا عليـــه الغبـــارُ
مـــن دمانـــا أتـــى الـــسلاحُ وفيـــه حاربونـــا كـــي يـــستريحَ "التتـــارُ"
لـــو شـــرّوهُ بمالِهـــم لـــصَمتنا وصمتنـــا لـــولا علينـــا أغـــاروا
عُـــشْرُ معـــشار مـــا شَـــرّوهُ ســـلاحاً كـــانَ يكفـــي لينتهـــي الإفقـــارُ
عـــشرُ معـــشار مـــا أراقـــوا دمـــاءً كـــان يكفـــي لكـــي تعـــزَّ الـــدارُ
لـــم يُـــرق مـــن دمـــاء قـــومي الأعـــادي بعـــضَ مـــا قـــد أراق منهـــا "الكبـــارُ"

*****

أيهـــا الحـــاكمونَ يـــا مـــن ظلمـــتُم لـــيسَ بـــالظلمِ تَخلُـــدُ الآثـــارُ
أيهـــا الحـــاكمونَ يـــشهدُ ربّـــي مـــا لكـــمْ غيـــرُ شـــعبِكُم أســـوارُ
كـــلُّ حـــصنٍ ســـوى الـــشعوبِ خِـــداعٌ وســـوى الـــشعبِ كـــاذبٌ غـــدّارُ
خدعَتْكُـــم عـــن الـــشعوبِ وعـــودٌ وسباكُـــم بريقُهـــا الغـــرّارُ
وحـــدَهُ الـــشَّعبُ بعـــد ربِّـــي نـــصيرٌ لـــيسَ إلا لكُـــمْ بـــه اســـتمرارُ

فاتّقــوا غــضبةَ الــشُّعوبِ علــيكُم فهــي ســيفٌ أنّــى رمــى بتّــارُ
وبكــمْ أوْ بغيــركمْ ســوفَ يمــضي وعليكــم فيمــا ســيأتي الخيــارُ
آن أنْ تــدركوا إذا شــئتمُ العــزّ - بغيــرِ الــشعوبِ - لا لــن تُجــاروا
مــا أخــذتمُ، ومــا وُعِــدْتُمْ بــه - إلا مــن الــشعبِ - كُلُّــه مــستعارُ
واللبــاسُ المعــارُ لــيس ببــاقٍ بعــدَه البــردُ، والأذى، والــسُّعارُ
فالبــسوا حــبَّ شــعبِكم تطمئنــوا فلكــمْ فيــه عــزّةٌ، وفخــارُ
واعــدلوا تــسلموا، وتبقــوْا طــويلاً عُمْرُكُــمْ إن عــدلتمو أدهــارُ
ســوفَ يمــضي الزَّمــانُ فينــا ســريعاً وســيبقى مــن بعدِنــا التذكــارُ
والجهــادُ الجهــادُ لــيس ســواه مــا بــه شــاءَ نــصرَنا القهّــارُ
أيــن مــن ودّعَ الحيــاةَ شــهيداً مــن عميــلٍ بــه تبــاهى العــارُ!
أيــن مــن نــالَ في الجنــانِ خلــودًا مــن ذليــلٍ لذكــره استهتــارُ!

*****

أيهــا الحــاكمونَ هــلاّ علّمتــمْ أن أعمــارَ ظالمِينــا قــصارُ!
أيهــا الحــاكمونَ هــلاّ علمتــمْ لــيس مــن فجــأة الممــاتِ فــرارُ!
صــدئتْ في العــراءِ أسلحــةٌ فيهــا ذَلّلَنــا.. وعــاثَ فيهــا الفــارُ
حينمــا يــصدأُ الــسلاحُ المغطّــى بــدمِ الأهــلِ تُحجــبُ الأمطــارُ
حينمــا يــصدأُ الــسلاحُ المنحّــى عــن لقــاءِ الأعــداءِ تُــسبى الدِّيــارُ
حينمــا يُــصبحُ العــدوُّ وليّــاً ســوفَ يمحــو حقوقَنــا الإنكــارُ

حينمـــا ينهـــكُ الطبيـــبَ احتـــضارٌ ســـوف ينـــسابُ جرحُنـــا النغّـــارُ
حينمـــا تُنبِـــتُ الحقـــولُ جـــراداً لـــيس يُرجـــى مـــن الحقـــولِ ثمـــارُ
حينمـــا تُـــصبحُ الـــشّعوبُ رمـــاداً مـــــا عليـــــه إن ذرّه الإعـــــصارُ!
حينمـــا يـــبطِشُ الطّغـــاةُ بـــشعبٍ قيَّـــــدوه.. ســـــتعملُ الأظفـــــارُ
حـــين تُلغـــي الجهـــادَ فتـــوى شـــيوخٍ ســـوف يُفتـــي لأمَّتـــي الكفّـــارُ

*****

أيهـــا النـــاعمونَ والقـــدسُ تُـــسبى وعلـــى الـــشعبِ جيـــشُكم كـــرّارُ
اُخرُجـــوا بالـــسِّلاحِ أوّ فاتركـــوه لـــصغارٍ قـــد طـــالَ منهـــا انتظـــارُ
مـــا علينـــا إذا الطغـــاةُ تعـــامَوْا وأُضـــلَّوا عـــن فهمنـــا، واحتـــاروا؟
نحـــن بـــاقونَ والغـــزاةُ خيـــالٌ لـــم يكـــنْ قـــطُّ للخيـــالِ قـــرارُ
يتعـــبُ الزّنـــدُ والـــسلاحُ ويبقـــى للبـــساتينِ زهرُهـــا المعطـــارُ
كـــم ســـلاحٍ طـــوى التـــرابُ ومـــا زالَ سَـــخيًّا بمـــا تجـــودُ البـــذارُ!
إنـــه الحـــقُّ بـــذرةٌ لـــيس تفنـــى وســـيفنى الـــصاروخُ والـــرادارُ
بـــذرةٌ تمـــلأُ الحقـــولَ اخـــضراراً لـــيسَ يقـــوى علـــى شذاهـــا الدَّمـــارُ
نحـــنُ مـــا غيرنـــا اخـــضرارُ الروابـــي ولنـــا وحـــدَنا ســـتبقى الثمـــارُ
حينمـــا يـــصدأُ الـــسلاحُ المغطـــى بـــدمِ الأهـــلِ تـــنهضُ الأحجـــارُ
فـــإذا بالحـــصى تـــصيرُ قـــضاءً ومحـــالٌ أن تهـــزمَ الأقـــدارُ

*****

شـــامُ يـــا شـــامُ يـــا امتـــدادَ جهـــادٍ حبُّـــــهُ في قلوبنـــــا مـــــوَّارُ
كلَّمـــا زادتْ الخطـــوبُ اشـــتداداً زادَ منَّـــا لدحرِهـــا الإصـــرارُ
شـــاءكِ اللهُ أن تكـــوني لـــهُ أمَّـــاً رؤومـــاً حليبُهـــا درَّارُ
لـــم تعـــودي مـــن الفتوحـــاتِ إلاَّ وعـــلا رأسَـــكِ الـــشَّموخَ الغـــارُ
حـــسبُكِ الـــدَّهرَ عـــزَّةً وفخـــارًا أنّمـــا أنـــتِ للجهـــادِ منـــارُ
شـــهدَ الكـــونُ والزّمـــانُ شـــهودٌ أنّمـــا بعـــضُ حقِّـــكِ الإكبـــارُ

*****

حلـــمٌ زارنـــي بليـــلٍ بهـــيجٍ زاعمًـــا راحَ للجحـــيمِ الكبـــارُ
واســـتعادتْ شـــعوبُنا مـــا أضـــاعتْـ ـــهُ، وســـادتْ في أمتـــي الأحـــرارُ
فتعجَّبـــتُ واســـتدرتُ أُداريـــ ـــهِ، وأُهـــذي كـــم زائـــري ثرثـــارُ!
وتحوّقلـــتُ موقنًـــا أنَّ أمـــراً شـــاءَهُ اللهُ كلُّـــهُ أســـرارُ
وانتهـــى الحلـــمُ بعـــد أخـــذَ وردٍّ وتفاءَلـــتُ علَّـــهُ إخبـــارُ
وتقلَّبْـــتُ ثمَّ زِدتُ شـــخيرًا آيـــسًا منـــه، إنَّـــه غـــرَّارُ
وتكلَّمـــتُ في منـــامي، وصـــوتي رهبـــةً خِلـــتُ أنَّـــهُ مـــستعارُ
هاتفًـــا دون أن أبـــوحَ بحـــرفٍ ولَكَـــمْ ضـــجَّ هاتفًـــا إضـــماراً!
أيهـــا الحلـــمُ زرتنـــي فلـــك الـــشكـ ـــرُ، فـــدعني فمـــا لليلـــي نهـــارُ
لا تعـــدْ أيهـــا الحبيـــبُ لرأســـي فـــإذا زرتَـــهُ فـــسوفَ يُـــزارُ

١٩٩٢

مـاذا أعـدد؟

مـــاذا أعـــدِّدُ مـــن صـــنوفِ عـــذابي ... ومـــصابُ كـــلِّ المـــسلمين مـــصابي؟!
ولمـن سأشـكو مـا أعـاني مـن أسـىً ... وأسـايَ ممَّـنْ يفرحـون لِمـا بـي؟!
وبـأيِّ سـطرٍ سـوف أبـدأُ قـصةً ... هيهـاتَ أُنهيهـا بـألفِ كِتـابِ؟!
عظـمُ المـصابُ، وعـزَّ مـن يُرجـى لـه ... والقـوم منـشغلون بالألقـابِ
هـم ألـفُ شـتّى... ألـفُ ألـفِ قطيعـةٍ ... وعـدوُّهمْ متـربصٌ بالبـابِ
لـم يـصنعوا سـيفاً، ولا احتطبـوا عـصاً ... وبَغَـوْا علـى الـسَّيافِ، والحطّـابِ
كَلِفـوا بحـبِّ التُّرهـاتِ عـن العـدا ... وعـدوُّهُمْ كلِـفٌ بـشرعِ الغـابِ
عجبـاً أهـذي أمتـي؟! هـل هـذه! ... ويمـوتُ في حلْقـي حـنينُ عتـابي
وتمـوج أشـهى الـذكرياتِ بخـاطري ... فأُكِـبُّ منكفئـاً علـى أوصـابي
وأكـادُ أقـضي مـن أسـاي ولهفتـي ... لـولا الرجـاءُ برحمـةِ الوهّـابِ
النـاسُ كـلُّ النـاس - إلاّ أمتـي - ... أخـذوا بمـا للعلـم مـن أسـبابِ
شـهد الزمـانُ ونحـنُ نجهـل أننـا ... أصْـلٌ لِمـا في الأرض مـن آدابِ
كنّـا بفـضلِ الله أفـضلَ أمـةٍ ... قـد أُخرجـتْ للنـاسِ في الأحقـابِ
عـزَّتْ فعـز العـالمون لعزهـا ... لا فـرق بـين الأهـلِ والأغـرابِ
تحمـي الحقيقـةَ في الزمـانِ سـيوفُها ... وتفـيضُ رحمتُهـا بغيـرِ حـسابِ
واليـوم!! مـا لليـومِ وا لَهَفـي لِمـا ... أخفـي وأعلِـنُ مـن أسـىً غـلاَّبِ!!

مـــا مثـــلُ ذلَّـــةِ أمتـــي مـــن ذِلَّـــةٍ مهمـــا نطـــنطنُ دونهـــا ونُحـــابي

*****

مـــاذا أعـــدِّدُ مـــن صـــنوفِ عـــذابي ولمـــن سأشـــكو في الزمـــانِ مـــصابي !!

ضـــاعتْ خلافتُنـــا ومـــاذا بعـــدَها غيـــرُ الفنـــاء يـــدبُّ في الأعـــصابِ!!

كانـــتْ لنـــا رأسَ الأمـــورِ ولـــم تَعُـــدْ تلقـــى بغيبتهـــا ســـوى الأذنـــابِ

مئـــةً مـــن الـــدَّولاتِ دالـــت أمـــةٌ جُبيـــت لهـــا خيـــراتُ كـــلِّ ســـحابِ

مئـــةٌ مـــن الـــدولاتِ كـــلٌّ دوْيلَـــةٍ قـــد مزَّقتْهـــا كثـــرةُ الأحـــزابِ

والنـــاكبون عـــن الهـــدى ممّـــن علَـــوْا هـــم شـــرُّ مـــا في النـــاس مـــن أوشـــابِ

ضـــلُّوا فـــضلّ النـــاسُ في تقليـــدهم وبهـــم يـــسوقُ اللّهُ شـــرَّ عقـــابِ

إن الـــضلالَ هـــو الـــبلاءُ وشـــرُّهُ ليزيـــدُ إذْ يـــأتي مـــن "الأقطـــابِ"

مـــاذا أقـــولُ بمـــن أضـــلَّ، ومـــن غـــوى مـــاذا أقـــولُ بعـــاجزٍ متـــصابِ؟!

سَـــلسِ القيـــادِ لكـــلِّ بـــاغٍ معتـــدٍ شـــرسٍ علـــى الأهلـــين والأصـــحابِ

يرجـــو مـــن الأعـــداءِ عـــزَّةَ نفـــسِهِ ويُـــذِلُّ كبْـــرَ الأهـــلِ بـــالأغرابِ

شـــغلتهمُ اللَّـــذاتُ عـــن حـــقّ الحمـــى فحيـــاتهم للّهـــوِ، والتطـــرابِ

مـــا لـــذَّ فهـــو لهـــم حـــلالٌ طيِّـــبٌ وشعوبُهـــم تجتـــرُّ طعـــمَ الـــصَّابِ

إن جـــدَّ أمـــرٌ يكتفـــون بقـــشرهِ مـــا فكّـــروا يومـــاً بنيْـــلِ لُبـــابِ

يتـــشاغلونَ عـــن العـــدوِّ بـــشعبهم فـــإذا همـــو كأرانـــبٍ، وذئـــابِ

قـــد أقـــسموا ألاّ تُوَحِّـــدَ بيـــنهمْ إلاّ فنـــونُ تنـــاحُرٍ، وســـبابِ

الحـــق ضُـــيِّعَ، والحقيقـــةُ عُطِّلـــت والقـــومُ بـــين منـــافقٍ، ومـــرابِ

الجاهليـــةُ ألـــفَ جاهلـــةٍ غـــدت وأُعيـــدَ عهـــدُ عبـــادةِ الأنـــصابِ
وَلَـــوَ انَّ بعـــضَ الهـــدْرِ أعدَدْنـــا بـــه جيـــشاً لكـــان النَّـــصرُ خلـــفَ البـــابِ
والبـــأسُ فيمـــا بيننـــا لـــو بعـــضُه صَـــوْبَ العـــدوّ، لكـــان في الأســـلابِ
وَلَـــوَ انَّ شـــكوى الـــنفسِ مـــن آلامِهـــا لَـــصَمتُّ، لكـــنْ أمـــةٌ لتبـــابِ
مـــاذا أعـــدِّدُ؟! لـــن أعـــدِّدَ حـــسْبُنا أن الجـــذور غـــدَتْ بغيـــرِ تـــرابِ
وإذا الجـــذورُ غـــدتْ بغيـــرِ تـــرابِ هانـــت هنـــاكَ مَهمَّـــةُ الحطّـــابِ

*****

مـــاذا أعـــدِّدُ مـــن صـــنوفِ عـــذابي وعلـــى مآســـي القـــومِ ضـــاعَ شـــبابي!
مـــن ذا لحـــالِ المـــسلمينَ وقـــد غـــدوْا مزقـــاً علـــى الأظفـــارِ والأنيـــابِ!
والعـــالِمون غـــدوْا أشـــدَّ جهالـــةً لَمّـــا أذلَّـــوا علمهـــمْ بالبـــابِ
خلطـــوا بـــدين الله دنيـــاهُمْ فهـــمْ لِهوانِهـــم حجـــرٌ علـــى الأعتـــابِ
وَلَـــوَ انَّهـــم زانـــوه في أفعالِهـــم يومـــاً لَعُدْنـــا ســـادَةَ الأحقـــابِ
وأشـــدُّ مـــن كيـــدِ العـــدوِّ عـــداوةً إعـــلاءُ شـــأنِ العالـــمِ المتغـــابي
وأشـــدُّ منـــه علـــى الـــشعوبِ خطـــورةً إخفـــاءُ أمـــرِ الحـــاكمِ الكـــذَّابِ
ولَـــنحنُ بينهمـــا معـــاً صـــرنا دُمـــىً فاعجـــبْ لـــشعبٍ صـــار كالألعـــابِ
يُغـــدى بنـــا، ويُـــراح لا نـــدري متـــى يُغـــدى، ونجهـــلُ آنَ كـــلِّ إيـــابِ
لكأنَّنـــا - والقهـــرُ خُبْـــزُ حياتنـــا - حَمَـــلٌ تململـــَ في يَـــدَيْ قـــصَّابِ
يـــا ربِّ هـــذي حالـــةٌ صـــرنا لهـــا وتظـــلُّ فـــوق النَّعـــتِ والإعـــرابِ
لكـــنَّ رحمتَـــكَ المؤمَّـــلَ غيثُهـــا شـــمسٌ ســـتخرقُ قلـــبَ كـــلِّ ضـــبابِ

فـالغيمُ مهمـا اسـْوَدَّ يُرجـى نفعُـه فـسوادُه البـشرى لكـلِّ يبـابِ
كـم بعـدَ طـولِ العـرِّي تـورقُ غابـةٌ ولكـم يفـيضُ القفـرُ بالإخـصابِ!

*****

مـاذا أعـدِّدُ مـن صـنوفِ عـذابي وأنـا الـشغوفُ بموجبـاتِ عـذابي!
صَـغُرتْ لـديَّ الأمنيـاتُ تُـساق لـي وجعلـتُ عـزَّ المـسلمينَ طلابـي
مـن ذا أرجّيـه؟! ومـاذا مـن يـدٍ شُـلّت... ومـن ثغـرٍ بغيـرِ رضـابِ!
لـم تبـقَ إلا حـشرجاتُ منـازعٍ يرجـو... ومـا يرجـوه محـضُ سـرابِ
وأكـادُ أجـزمُ أنّ مـا أرجـو لهـم كرجـوعِ ذي هَـرَمٍ لعهـدِ شـبابِ
سـأظلُّ رغـمَ القهـرِ أهتِـفُ أمتـي ولـي الرجـاءُ برحمـةِ التَّـوابِ
فـاللهُ رحمتُـه تظـلُّ قريبـةً مـن محـسنٍ، أو ضـارعٍ أوَّابِ

*****

مـاذا أعـدِّدُ مـن صـنوفِ عـذابي ومـصابُ أقـصى المـسلمينَ مـصابي؟!
روحـي بـروحِ المـؤمنينَ توحَّـدتْ في الـدهرِ رغـمَ تباعـدِ الأصـلابِ
هـم نـسبتي، وهـمُ انتـسابي وانتهـت إلاّ إليهـم قـصّةُ الأنـسابِ!!
أوَ لـيسَ ربُّ العـرشِ وحَّـدَ أمَّتـي لَمّـا حباهـا منـه خيـرَ كتـابِ!!
واختـار منهـا للزَّمـانِ مُحمَّـداً ليكـونَ منـه فـصْلُ كـلِّ خطـابِ
ويكـونَ هـادي العـالمينَ علـى المـدى وإليـه يرجـعُ أصْـلُ كـلِّ صـوابِ
فعـلامَ لا أُغلـي وأُكْـرِمُ أمَّتـي ويكـونُ عمـري دونَهـا وشـبابي؟!
أوَلـيسَ حـسبي أن منهـا المـصطفى وصـديقَه، وعدالـةَ الخطَّـابِ؟!

وبـأن عـيْنَ الـدَّهرِ يومـاً لـم تجـدْ فـضلاً يـوازي فـضلَ أيِّ صـحابي؟!
حفظـوا لنـا القـرآنَ حفظـاً حيّـروا فيـه أُولـي الأفهـامِ والألبـابِ
عاشـوا بـه ولـه أسـاتذةَ الـورى فهمـو بـلا نِـدٍّ، ولا أضـرابِ
والتـابعونَ، ومـن رأى كثباتِهـم في الحـقِّ رغـمَ الـضُرِّ والإرهـابِ!
هـم تـابعوا سـيرَ النبـيِّ، وصـحبِه واسـتقبلوا الأهـوالَ بالتَّرحـابِ
مـا صدَّهـم أن الحِـرابَ بجـسمِهم والجـسمُ أمـسى طعمـةَ الأوصـابِ
بـاعوا إلـى اللهِ النفـوسَ رخيـصةً فهمـو هـم الأعلـوْن في الأحقـابِ
نفـسٌ تـسيلُ، وإصـبعٌ كتَبَـت بمـا قـد سـالَ مـن دمِهـا أعـزَّ جـوابِ:
إنَّ الـشهادةَ في سـبيلِ عقيـدتي هـي عزّتـي، وأحـبُّ كـلِّ رغـابي
ثبتـوا فـصَفّوْا بالثبـاتِ علـومَهم فـإذا علومُهمـو كـألفِ شـهابِ
وجهـادُ كـلِّ مجـدّدٍ... حتـى غـدا سـلطانُ ديـنِ اللهِ جِـدَّ مُهـابِ
كـانوا ومـا زالـوا شـموسَ هدايـةٍ يبقـى سناهـا الدَّهـرَ دون غيـابِ
وبهـم أقـامَ اللهُ شـرعَ نبيِّـهِ وجـلاه مـن كـدَرٍ، ومـن أوشـابِ
خيـر العقائـدِ في الزمـانِ يـصونُها للنَّـاسِ خيـرُ القـادةِ الأنجـابِ
فـإذا بتوحيـدِ المهـيمنِ رايـةٌ تعلـو بكـفِ الفـاتحِ الغـلاّبِ
وإذا هتـافُ اللهِ أكبـرُ في المـدى قلـبُ الهـضاب يزفُّـه لهـضابِ
وعلـى امتـدادِ الأرضِ تمـضي جُنْـدُها كعبـابِ بحـرٍ يقتفـي بعبـابِ
وقلـوبُ أهـلِ الأرضِ تـشرقُ بالهـدى ويفـيضُ نـورُ الحـقِّ في الأقطـابِ

تلـك المواقـفُ مـن رجـالاتِ الهـدى كنـزُ اعتـزازِ الأهْـلِ والأغـرابِ
هـي في الزمـانِ، وللزمـانِ فريـدةٌ تبقـى... وكـلٌّ فريـدةٍ لـذهابِ

*****

مـاذا أعـدِّدُ مـن صـنوفِ عـذابي وبحـبِّ قـومي قـد عـشقتُ عـذابي
وعلـى أمـاني المـؤمنين وأمْـنهم أنفقـتُ عمـري، واحتـسبتُ شـبابي
مـا نـاب خطْـبٌ مؤمنـاً إلاّ ولـي منـه سـهادٌ ممـسكٌ أهـدابي
فهمـومُ كـلِّ المـؤمنينَ علـى المـدى همّـي، وعـزُّ المـسلمينَ رغـابي

*****

يـا ربِّ هـذي أنَّـةٌ أرسـلتُها فعـسى يُفيـد تـوجّعي، وعتـابي
وعـسى تـؤوب إلـى الهدايـة أمتـي ويكـون لـلأوّابِ خيـرُ متـابِ
فبنـورِ وجهِـكَ يـا إلهـي رُدَّنـا لهـداك واجنُبْنـا أذى (الأربـابِ)
أنـتَ الرجـاءُ، ومـا سـواك لِمـا بنـا ولأنـتَ وحـدَكَ مالِـكُ الأسـبابِ

*****

يـا ربِّ وحِّـدنا علـى نهـجِ الهـدى وأظلَّنـا بظـلالِ خيـرِ كتـابِ
يـا ربِّ واقبـضني إليـك مُطهّـراً مـن كـلِّ ذنـبٍ موجـبٍ لعـذابي
واسكبْ صلاتَك والسلامَ على النبيِـ ـيِ محمـدٍ، والآل، والأصـحابِ

يا بلدي

قصة هذه القصيدة

أعترف باديء ذي بدء بأني تَعَجَّلت بكتابة هذه القصيدة التي لم تجيءْ على النحو الذي كنت أتمناه، ويتمناه معي من سيطّلع عليها، في حين أنني أزعم أن هذه القصيدة كانت مكتوبة في ضميري وعلى صفحة خلدي قبل أن أسطّرها على الورق، وجاءت حميميّة الأهل والأصدقاء مطالبة بإنجازها، ونقلها من صفحة القلب إلى الورق، فجاءت كما ستراها قارئي الكريم، وما كان ذلك مني إلا لرهبة تملؤني كلما وقفت أمام جمال بلدي الذي نَمتْني خيراتُه، وغذّتني طيباته، وأمدتني روعتُه بأضعاف ما كان مأمولاً مني أن أقدر على ردِّه له، فقلبي، ولحمي، ومخي، وعظامي، وحتى أحلامي مجبولة فيه ومنه، وروحي مفطورة على حبِّه، وأنا متَّقد الحنين أبداً إليه... وما أحسب أنني وُفّقتُ في الكتابة يوماً كما وُفّقت حين قلت عن مرابعه الجميلة الساحرة وطفولتي فيها:

تلك الفرائدُ أغنتني محاسنُها ... كأنما هي روحي، وهي لي عَضُدي

ما رقَّ لي الشعرُ إلا حين أذكرها ... فذِكرُ أطيابها زادي، ومبتردي

إن كان في الشعر لي من شطرةٍ حَسُنَتْ ... فحسنُها في دمي من ذلك الأمَدِ

تنسابُ أحلى معاني الحبِّ في كلمي ... إذا تذكرتُ أني صورةُ البلدِ

حتى لكأنني عيونٌ لم تُطْبِقْ عليها الجفونُ وهي تتملى روعة ذلك الجمال المتجدد أبداً.

وعلى امتداد عقود البعدِ عنه، برغم الانشغال بهموم الحياة اليوميَّة المُلهية المُعطِّلة عن زيارته كما أحب، أو الإقامة فيه كما أتمنى، لم تغب عن عيني روعةُ جماله، ولم تخفَّ عليَّ وطأة الحنين إليه، دعْ عنك وقفتي برهبةٍ أشد أمام عظمة تاريخه، وشموخ أولئك الرجال الذين صنعوا له مع أندادهم من الغيارى المؤمنين المخلصين ذلك التاريخ المجيد.

تراني قلتُ تاريخه؟!

عفوَ تاريخه الذي طوِيَ، وربما سيظل مطوياً، وقد لا يرى النور ـ لا سمح الله ـ إذا لم تنهض له، وتتحرك باتجاهه همَّةٌ عاليةٌ، وجهودٌ مقتدرة، وإخلاصٌ عنيدٌ للتاريخ، والأهل والتراب.. هذا التاريخ الذي يبدو لي ـ ويا للأسف الشديد ـ أنه مجهولٌ حتى ممن يُفترض أن يكونوا ورثته وحماته.. وأعترف أني واحد من أولئك، وإن تكن الأمور نسبية.

كثيراً ما عشت متسائلاً، ووقفت سائلاً أولئك الرجال الذين أحسب أن الله قد هيأهم ليكونوا رجال ذلك البلد بكل ما تعنيه وما تتطلبه هذه الكلمة حينما كنت أعيش مصغياً إلى خفقات قلوبهم، وترقرق دموعهم، وابتسامات ثغورهم، وتهدج نبراتهم وهم يتحدثون بكل البساطة والعفوية البريئتين عن ذكرياتِ جهادهم العنيد:

- لماذا تُبقون صفحات جهادكم مطوية، ولديكم ما تملؤون به أسفاراً وأسفاراً؟

ولم تكن الإجابات جديدةً عليَّ.. فلقد أصبحتْ مألوفةً لأنها واحدةٌ عند الجميع..

- أوليست الحقيقة التي عاشوها واحدة؟
- أوليست العقيدة التي نشؤوا عليها واحدة؟
- أوليس الهدف والغاية والآمال واحدة أيضاً؟

إنهم لم يجاهدوا ليُذكروا، ولا ليُحْمَدوا.. إنهم مقتنعون أن ما فعلوه، وما ضحوا به ليس إلا أقل الواجب عندهم، والواجب يجب أن يستحيي فاعله من ذكره.. فكيف إذا ذكرَه مُعَظِّماً له، مُفاخراً به؟

ذلك ما يتنافى مع طباعهم التي فُطروا عليها.

وعندما كنت أقول لهم:

- لكن غيركم قد فعل.. وربما ليس عنده إلا أقل مما عندكم؟ سرعان ما كانت تأتي الإجابة واحدة أيضاً:

- ليس يهُمنا ما فعل غيرنا، وكيف فعل، ولماذا فعل.. ثم يردفون قائلين:

- أتريدنا أن نضيّع ما كنا نبتغيه من مثوبة عند اللّه الذي أمدنا، على ندرة ما في أيدينا وقلة عددنا، بذكرِ هذا الذي تطالبنا به وهو لا يُقدِّم ولا يُؤَخِّرْ؟

حسبنا أننا ابتغينا به وجه اللّه، ثم حب هذه الأرض الغالية.

إن الجعجعة لا تُنبت قمحاً، ولا تطحنه.

هؤلاء الرجال الذين استعرتُ من مواقفهم الشامخة قطرة عِطْرٍ واحدة ورششتها في بعض أبيات هذه القصيدة، وقفت وأقف أمام جلال إبائهم وعزتهم أعجزَ ما أكون عن إعطائه ولو أقل الواجب، ولستُ في هذا مبالغاً ولا متواضعاً.. فليس التواضع مقبولاً عند قول الحقيقة.

وإن جهادهم لحقيقة أيضاً..

ألا ترى معي، قارئي العزيز، أن أمر هؤلاء الرجال عجيب حقاً؟

لم أجد بُدّاً وأنا أذكر هذا عنهم من أن أذكر - ولو خَطْفاً - شيئاً مما فعلوه وألهموه في هذه القصيدة التي لا تعدو أن تكون محاولة للتقرب مما كانوا عليه أو تقريبه.

وَلأَقِفْ معك، قارئي الكريم، عند قصةٍ صغيرةٍ جداً عن رجلٍ أعرفه حقَّ المعرفة لنتبين، بعد هذا الذي حدثتك به، طرفاً من حقيقة هؤلاء الرجال، والقصة أنقلها من غير أن أعلق عليها..

لقد كان المجاهدان الخالدان عز الدين القسام وإبراهيم هنانو - رحمهما اللّه ونفعنا بسيرة جهادهما الحميدة الخالدة - كثيراً ما يلجآن إلى بلدي مستنجدين أو مستأنسيْن أو مُسترشديْن لأنهما كانا مطمئنّين إلى أن لهما عندنا ما يريدان.

كان ذلك الرجل صاحب القصة ينثر النقود الفضية، حينما يطالبه بها أولاده صبيحة العيد، عالياً لتتساقط عليهم من حول الصورة الوحيدة التي رفعها فوق مدخل غرفته، وهي صورة المجاهد إبراهيم هنانو رحمه الله فيحسب الأولاد أن «العيدية» جاءتهم من صاحب الصورة.

أليس لنا أن نقول هنا: إنه لا يعرف الفضل إلا أهله، ولا يقدِّرُ الرجال حقَّ قدرهم إلا الرجال!.

تاريخ هؤلاء ا لرجال مطويٌّ بإرادتهم حتى الآن، وقد رحل عنّا معظمهم إلى ما قدموه، وما بقيت إلا الذكريات القليلة النادرة المتناثرة هنا وهناك والتي تضغط على أنفاسها اللاهثة لتجهز عليها هذه المسلسلاتُ التي تُقبِل عليها الأجيالُ مسحورةً بعرضها الباهر، مأخوذةً بما بذل في سبيل إخراجها من جهود وأموال ـ مع التحفظ على عدم دقة الكثير مما تقدمه ـ دَعْ عنك هذا الولع الشديد الذي فاق كل مألوف وتصورٍ في التعلق الجنوني بكرة القدم و«أبطالها». على حساب تاريخ أمتنا وأبطاله ورجالاته.

ويقيناً لو أراد هؤلاء الرجال، وتهيأت الجهود، المخلصة لما لديهم من مواد صالحة حقاً لمثل تلك المسلسلات، لكان لكل مشاهدٍ أو مستمعٍ أن يطمئن إلى صحة ما «ألمحت» إليه، ولربما كان بها البديل. وليس لي هنا إلا أن أقول أمام هذه «الحقائق» كلها بكل الصدق..

ليعذرني أهل بلدي الصغير والكبير معاً، وليعذرني تاريخهم المشرِّف، وليعذرني إباؤهم، وليعذرني التاريخ عن كل تقصير أُقِرُّ به سلفاً، فهم بهذه الحقائق ولكل هذه الحقائق أكبر عند الله وأكرم، ويبقى لنا فعل ما نختار فعله.

نَضَّر الله ثرى أموات بلدي، وكل بلاد العرب والمسلمين، وأصلح أحوال أحيائهم أجمعين. والحمد لله رب العالمين.

دمشق ١٩٩٧/٦/١

يا بلدي

مهبِط رأس الإنسانِ هو عالَمُه، بل هو العالَم كلُّه فإذا أحبَّه فقد أحبَّ العالَمَ كلَّه، وإن لم يكن وفياً له محباً لترابه فهو أعجز من أن يَفيَ لأحدٍ، أو أن يحبَّ أحداً.. فإلى قريتي «**بابنّا**»، وإلى تراب منطقة «**الحفّة**» أقدم هذه القصيدة حباً ووفاءً.

الحُسْنُ أنتَ، وأنتَ المجدُ يا بلدي ... هلْ أنتَ من كَبِدي، أمْ أنتَ لي كَبِدي!

صاغَتْكَ بالحُسْنِ كفُّ اللهِ مُنفَرِداً ... يا طِيبَ فَرْدٍ بزَهْوِ الحُسْنِ مُنفرِدِ!

كَمْ نقَّلَتْني النَّوى في الأرضِ مُرْتَحِلاً! ... وكَمْ حملْتُكَ حَمْلَ الرُّوحِ للجَسدِ!

وكَمْ رأيتُ بدنيا اللهِ مِنْ بِدَعٍ! ... لكنْ كحسْنِكَ عيني قطُّ لمْ تَجِدِ

بنفخةِ اللهِ عيسى صارَ معجزةً ... وأنتَ معجزةٌ مِنْ صَنْعةِ الصَّمَدِ

كِلاكُما آيةٌ للهِ شاهِدةٌ ... كلاكُما آيةٌ تبقى إلى الأبدِ

طافَ الجمالُ بدنيا اللهِ مُلْتَمِساً ... طِيبَ المُقامِ، وما يَهوى مِنَ الرَّغَدِ

وَقَرَّ عيناً بأهلينا وتُرْبتِنا ... وحطَّ عندَهُما طَوْعاً.. ولمْ يَحِدِ

فأنتَ يا بلدي للحُسْنِ مُنْتَجَعٌ ... وأنتَ مَنْ يُبدِعُ النُّعمى مِنَ النكدِ

فاسْلَمْ ـ فُديتَ ـ لحُبٍّ أنتَ ناظِمُهُ ... أيا تراباً به أُشفَى مِنَ الرَّمَدِ

*****

الحُسْنُ أنتَ، وأنتَ المجدُ يا بلدي ... قَوْلٌ يُبَرِّئُهُ الخَلاّقُ مِنْ فَنَدِ

الحُسْنُ أنتَ، وأنتَ المجدُ قد جُمِعا ... وفي سِواكَ هُما أدنى إلى البَدَدِ

مـا بَـينَ نهْـرينِ أَرْسـى اللهُ «حَفَّتَنـا» كأنهـا ــ عَفْـوَ ربِّـي ــ جَنَّـةُ الخلُـدِ!
فيـا ثَـرى «الحفَّـةِ» الأغلـى مَحبَّتُـهُ عَـوَّذْتُ حُـسْنَكَ بـالمولى مِـنَ الحَـسَدِ
ويـا ثَـرى «الحفَّـةِ» المجبـولَ مِـنْ دمنـا عهـداً سـتبقى علـى الأيـامِ غيـرَ صَـدِي
يا مَوطِنَ الحُبِّ.. يا أمسي وحُلْوَ غَدي يـا صـورةً نُقِـشَتْ في صـفحةِ الخَلَـدِ
مِـنْ أمْـسِكَ النَّفْسُ زادتْ في الأنامِ غنىً وأنـتَ مَـنْ فيـه أرجـو أن يكـونَ غَـدي
مـا ذَرَّةٌ منـكَ إلا مُقْلَـةٌ ويَـدٌ رُوحـي فِـداءٌ لهـا مِـنْ مُقلَـةٍ ويَـدِ
أقْسَمْتُ لوْ لمْ تكُنْ يا موطني وطني لَمَـا ارتَـضَتْ مُهجتـي إلاَّكَ مِـنْ بَلَـدِ
ومنـكَ إلاّ إليـكَ الـنَّفْسُ مـا ارتحَلَـتْ ولـو لغيـرِكَ إنْ خيِّـرْتُ لـمْ أَفِـدِ
فـارْحمْ وفـاءَ فـؤادٍ أنـتَ طينتُـهُ فَهْـوَ الغنـيُّ، وأنـتَ الـدائمُ الرَّفَـدِ
ويـا بَبَنَّـا.. ومـا أغْنـاكِ راحلـةً إلـى الـسماءِ بـلا زادٍ سِـوى الـصِّيَدِ!
ويـا بَبَنَّـا.. ومـا أحـلاك سـاهرةً بَـيْنَ النجـومِ.. ألاَ حُيِّيـتِ مِـن رَصَـدِ!
مـا كنـتِ لاهيـةً يومـاً وحالِمَـةً بِمِثْـلِ جِـدِّكِ لـمْ أَسْـمَعْ ولـمْ أَجِـدِ
لِلبَـدْرِ عنـدَ ذُراكِ الـشمِّ مُتَّكَـأٌ وللنجـومِ عليهـا خيْـرُ مُتَّـسَدِ
أَغْلَيْـتُ ذكـراكِ لـمْ أَحفِـل بمُنْتَقِـدٍ وكَـمْ يَزيـدُ حَنينـي نقْـدُ مُنْتقـدي!
مـا زادَنـي عنـكِ بُعْـدي غيـرَ مَوْجَـدَةٍ حَـسْبي وحَـسْبُكِ أنـي دائـمُ الوَجَـدِ
لَـئِنْ كَبَـتْ خَيْـلُ حَـظٍّ منـكِ عـاثِرةً يومـاً... فمنـكِ لِفَـوزٍ ألـفُ مُحْتَـشَدِ

*****

ويـــا تـــلالاً بِبابَنّـــا وجيرَتِهـــا ... مِـنَ الـشقيقاتِ مِمَّـنْ هُـنَّ في صَـدَدِ

أَغْلَيْتُهـا مـنْ تـلالٍ قـد عَلَـت شَـمَماً ... تَـذْرو علـى الـدهرِ زَهْـوَ الكِبْـرِ والغَيَـدِ

مـا أنـتِ إلاّ شُـموخُ الأهـلِ مُنْطلِـقٌ ... مِـنْ طـارِفٍ عَبِـقِ الـذكرى، ومِـنْ تَلِـدِ

أعيـذُ أهْلَـكِ ـ والأمجـادُ في دَمِهِـمْ ـ ... مِـنْ أنْ يُـرى المجـدُ فـيهِمْ غيْـرَ متّقِـدِ

مَـنِ ارتـضى الـذُّلَّ يومـاً لَـن يَعِـزَّ غداً ... ولَـنْ يَزيـدَ سـوى ذُلٍّ أخـو الحَـسَدِ

ومَـنْ تواكَـلَ مُرتاحـاً إلـى حلُـمٍ ... فقَـصْرُهُ لَـمْ يكـنْ يومـاً سـوى لَحَـدِ

أهلـوكِ أهلـي، ولا أرضـى بهـمْ بَـدَلاً ... وغيـرَ أهلِـكِ لَـو خُيِّـرْتُ لَـمْ أرِدِ

تعاقَـبَ العِـزُّ في أجيـالِهِمْ أبـداً ... كمـا تعاقَـبَ يـومُ الـسبتِ بالأحَـدِ

قـد أبْـدعوا الجَـدْبَ جَنّـاتٍ وفاكهـةً ... وروَّضـوا بالتـسامي كـلَّ ذي لَـدَدِ

وصـابروا فعـسيرُ الأمـرِ مَيـسرَةٌ ... وجاهـدوا.. فـأذَلُّوا كـلَّ مُـضْطَهِدِ

مُـسْتَنْفَرونَ إبـاءُ الحـقِّ في دمِهِـمْ ... لا يَـسْجُدون لغيـرِ الواحـدِ الأحَـدِ

نَمـاهُمو بهُـدى الـرحمنِ مُعْتقَـدٌ ... مـا كـان أصْـدَقهمْ جنـداً لِمُعْتَقَـدِ!

تـشابكتْ في أصـولِ الفَخـرِ نِـسْبَتُهُمْ ... كأنهـا حـولَهمْ محبوكـةُ الـزِّرَدِ

للـضَّيفِ هُـمْ أهلُـهُ.. لِلفخـرِ عُدَّتُـهُ ... ولا تَهمُّـكَ مـنهُمْ قِلَّـةُ العَـدَدِ

إنْ كـان عـابَهُمُو مِـنْ قلَّـةٍ بَطِـرٌ ... فكَـمْ بـلا عُـدَدٍ أفنَـوْا ذَوي العُـدَدِ!

هيهـاتَ تلقـى لهُـمْ شـكوى إلـى أحَـدٍ ... فلـيسَ مِثلُهُمـو في الـصّبرِ مِـن أحـدِ!

كَـمْ مِـنْ شـهيدٍ قـضى للّه مُحتـسِباً ... يُقـارِعُ الظُّلْـمَ في حَيْفـا وفي صَـفَدِ!

طـاروا إلـى المسجدِ الأقـصى ونُـصرَتِهِ ... مـا كـان مـنهُمْ سـوى فـادٍ، ومجتهِـدِ
لـمْ يـذهبوا عنـكِ للـدنيا وزُخرُفِهـا ... فهُـمْ لخيـرِكِ في أَمـنٍ وفي رَغَـدِ
إنْ فـاخرَتْ بـشهيدٍ بلـدةٌ عجبـاً ... فمنـكِ ألـفُ شـهيدٍ يـا ابنـةَ الأبـدِ

*****

حُيِّيـتَ يـا عُمـرَ البيطـارِ مِـنْ رَجُـلٍ ... لاقـى العـدوَّ بقلـبِ الـضَّيْغَمِ الحَـرِدِ
تكـادُ مِـنْ بـأسِ مَـنْ أَرْهَبْـتَ قـوَّتَهُمْ ... تَعْنـو الجبـالُ.. وأنـتَ الطَّـوْدُ لـم يَحِـدِ
جَمَعْـتَ حولَـكَ مِـنْ أحرارِنـا نَفَـراً ... هُـمُ الـصناديدُ أهـلُ البـأسِ والـصَّيَدِ
عاهَـدْتُّمو ربَّكُـمْ ألاّ تَقِـرَّ لَكُـمْ ... عـينٌ وفي الـدارِ ظِـلُّ الغاصـبِ النَّكِـدِ
وثُرْتُمـو فـإذا أسماؤُكـمْ فِـرَقٌ ... تُفَـرِّقُ الخـصمَ رَغـمَ العَـدِّ والعُـدَدِ
في كـلِّ شِـبْرٍ رأى مِـنْ بأسِـكمْ رَصَـداً ... وكـلُّ محـشودِهِ في قبْـضةِ الرَّصَـدِ
مـا ذرَّةٌ مِـنْ تـرابٍ كـان أنْبَتَكـمْ ... إلا لخـوفٍ رآهـا ألـفَ مُحتـشِدِ
صَـدَقتُمُ العهْـدَ للمـولى فكـان لكـمْ ... عوْنـاً.. وفـزْتُم بعِـزٍّ منـهُ مُنفـرِدِ
إن يَطلُـبِ النـاسُ للإقـدامِ أمْثلـةً ... يُهـدى بهـا.. فلأنـتمْ آيـةُ الرَّشَـدِ
مـا كـان مثلُـكَ في إقدامِـه أبـداً ... ولـمْ يكـنْ مـثلُهمْ في صِـدْقِ معتَقَـدِ
لـمْ تَلـقَ عينُ «فرنسا» رغْمَ مـا شـهِدَتْ ... يومـاً كبأسِـهمو في سـاحةِ الجَلَـدِ
هُـمْ جـابَهوا بـيقينٍ كـلَّ مـا حَـشَدَتْ ... مِـنْ عـسكرٍ، وسـلاحٍ دائـمِ المَـدَدِ
لـمْ يَـصبِروا سـاعةً في الـذُّلِّ واتَّقـدوا ... يـا هَـوْلَ مـا لَقِيَـتْ مِـنْ بـأسِ متَّقِـدِ!!

خابَتْ، وفرَّتْ بِخِزْيٍ رغْمَ قوَّتِها قُبحاً لطاغٍ يعاني ذلَّةَ الطَّرَدِ!
صحائفٌ عنكِ بالإكبارِ قد مُلِئتْ عِدي رجائي بِملءِ التالياتِ عِدي
صحائفٌ عنكِ ما هانتْ وإنْ طُوِيَتْ يوماً سيَنْهَلُ منها كلُّ ذي رَشَدِ
كمْ جرَّ حسنُكِ مِنْ حقْدٍ ومِنْ حَسَدٍ؟! وكمْ بترْتِ يمينَ الحاسدِ الحَقِدِ؟!
ما أنتِ في شُهرةِ الفيحاءِ أو حَلَبٍ لو أنصفوكِ لَمَا قَصّرْتِ يا بلدي

*****

يا قلعةً لصلاحِ الدين شامخةً لأنتِ في أرضِنا رمزٌ إلى الأبدِ
تبقى على الدهرِ منها ألفُ شاهدةٍ عن بأسِ قومٍ هُمو للجِّدِّ والسدَدِ
لأنتِ مِنْ صُنْعِ أجدادٍ لنا اتَّحَدوا فخلَّدوا بإباءٍ عزْمَ مُتحِدِ
ما أنتِ إلا زنودٌ كلُّها ثِقَةٌ بوركْتِ مِنْ نَضَدٍ راسٍ على نَضَدِ
فأنتِ معجزةٌ قامت على عَمَدٍ ونحنُ نحنُ بُناةُ الرأسِ والعُمُدِ
تيهي على الدَّهرِ يا أختَ الخلودِ بما قد نِلْتِ مِن بأسِ مَنْ أرْسَوكِ وانفردي
فإنْ سبَقتِ بزهوٍ كلَّ باقيةٍ فَلْتذكري أنَّ قومي هُمْ أولُو الصَّيَدِ
فأنتِ أصْغرُ مِنْ بأسٍ بُنيتِ به يبقى الشموخُ لِمَنْ شادوكِ فاتَّئِدي!
لمْ يَبْقَ من مستحيلٍ دونَ عَزْمَتِهمْ لله كيف ألانُوا أصْلَد الصَّلَدِ؟!
شادوا لنبقى أباةً في معاقِلِهمْ نزدادُ عِزّاً على الأيامِ والمُدَدِ
عُذراً إليكَ صلاحَ الدينِ عن فتنٍ فيها بنوكَ بُعيْدَ العزِّ في كَمَدِ

تَحــرَّقَ المـسجدُ الأقـصى وعـاثَ بــه أخــزى الأنــام وعــينُ القــومِ في رَغَـدِ
مــا حركَّــتْ ســاكناً في القــومِ نَكبَتُــهُ وحُــقَّ بــالروحِ منــا أنْ يكــونَ فُــدِي
نرضــى ســلامَ عــدوٍّ لا عهــودَ لــهُ ونــستعينُ علــى الأهلــينَ باللُّــدَدِ

*****

مــاذا أقــول صــلاحَ الــدين عــن وطــنٍ أمــسى شــعوباً. وعــزَّ اليــوم ذو رشــدِ؟
عــشتَ الحيــاةَ جهــاداً دون مُعتقَــدٍ مــا عِــزَّةُ العــيشِ إلا عــزُّ مُعتَقَــدِ
عــذراً إليــكَ أبــي فالــصُّبحُ مقتــربٌ رغْــمَ الظــلامِ فــشَعبي للخــلاصِ هُــدي
فلــو تــرى فتيــةَ الأقــصى، وثورَتَهــم لقلــت حقــاً، تــراثُ الجــدِّ للولــدِ
مــا غيرُنــا أبــداً مَــنْ يُخلِــصون لــهُ ويُنقــذون بــه الدُّنيــا مــنَ النكَــدِ
فقــد أضــرَّتْ بهــذا الكــونِ قوّتُــهُ لمّــا بَغــتْ ونــأتْ عــنْ ربِّهــا الــصمَدِ
تَعَبَّــدَ النــاسَ مــن عاشــوا بــلا قــيمٍ فــلا تــرى غيــر منهــوبٍ ومُــضْطَهَدِ
لا ضيرَ مـن ظلمِهـم فـالظُّلمُ منـدحرٌ مهمــا اســتبدَّ مــؤدَّاه إلــى البــددِ
ويــا كرومــاً أنــا في حُــضنِها وَلَــدٌ هــلْ تَــذْكرينَ قلــيلاً شِــقوةَ الوَلَــدِ؟
ألَــمْ أكــنْ هاهنــا ألْهــو، وألــفُ هنــا قــد كنــتُ فيهــا، وكانــت كلُّهــا لِــدَدي!
الــشمسُ كانــت بهــا مُلْكــي وطَــوْع يــدي والبــدرُ كالــشمسِ مــا أحلاهُ طَــوْعَ يــدي!
أســاهِرُ الليــلَ أرجــو عَــدَّ أنْجمِــهِ وكــم أعُــدُّ ولا أرتــاحُ للعَــددِ!
وكــمْ صعِدتُ إلــى أعلــى التِّلالِ ضــحىً بعــزمِ نِمْــرٍ إلــى القِطعــانِ مُنْجــرِدِ!

وكمْ تَدَحْرجتُ نحوَ السَّهلِ مندفعاً ... كأنَّني السيلُ، لكنْ دونما زَبَدِ!

وكمْ جعلتُ أعالي الحَوْرِ مِئذَنَتي ... فانسابَ صوتيَ أندى وهْوَ غيرُ نَدي!

وكمْ صَعِدتُ لأعلى تينةٍ حَلِيَتْ ... فيها الثمارُ لتَجني تينَتَيْنِ يدي!

أعْدو بهِنَّ إلى جَدّي.. وما برِحتْ ... تَهُزُّني ـ رَغْمَ شَيْبي ـ «عِشْتَ يا ولدي»

لم أُبْقِ من شجرِ البستانِ ذاتَ جَنَىً ... إلاّ ارتقيْتُ ذُراها دونما صَعَدِ

أطيرُ في خِفَّةِ العُصفورِ مُنتقِلاً ... بينَ الغصونِ ولا أخشى مِنَ المَيَدِ

وكمْ تغنَّيتُ والوادي يَرُدُّ صَدى ... صوتي فتَحْسَبُهُ شيئاً مِنَ الرَّعَدِ!

وكمْ أحِسُّ بأنّي بُلبلٌ غَرِدٌ ... وأينَ منِّي غناءُ البلبلِ الغَرِدِ؟!

وكم نَصبتُ فِخاخَ الطيْرِ مُلتمِساً ... صَيْداً ثميناً، وأدنى الصَّيدِ لم أَصِدِ!

وكمْ ألَمْلِمُ من أشجارِها زَهَراً ... عَلِّي أفوزُ بعِقْدٍ منه مُنعقِدِ!

أُزْكي به في صَبايا الحيِّ غَيْرتَها ... عسى يُقالُ بأنّي نافِثُ العُقَدِ!

فما انقضَتْ شِقْوةٌ قد كنتُ أتقنُها ... إلا وجِئْتُ بعشْرٍ مثْلِها جُدُدِ

طفولةٌ عَجَبٌ قد عِشتُها وَلَداً ... للهِ ما كانَ أحلى شِقْوَةَ الوَلَدِ!!

*****

تلك الكُرومُ نَماني حبُّها، ونَما ... حبّي لها، وعليها كان مُعتَمَدي

فكلُّ ما كانَ منها كانَ لي مَدداً ... وكلُّه لِبَياني أكرَمُ المَدَدِ

ما حُلْوُ فاكهةٍ فيها حَلَتْ ودَنَتْ ... إلا وشِعري بها تلقاهُ كالشّهَدِ

مـــا حُـــسنُ داليـــةٍ أرْخَـــتْ جَدائلَهـــا ... إلا وكانـــتْ لـــشعري أمـــتَنَ العُمُـــدِ
مـــا لَـــوْزةٌ لبِـــستْ أزهارَهـــا عَجبَـــاً ... إلا وفَـــصَّلْتُ منهـــا أجمَـــلَ البُـــرَدِ
مـــا زَهْـــوُ باسِـــقةٍ.. مـــا نَفْـــحُ زاهِـــرةٍ ... إلا اكتنَـــزْتُ بهـــا دُنيـــا مِـــنَ الملَـــدِ
ويـــا عيونـــاً بهـــا تَنـــسابُ صـــافيةً ... فـــالجوُّ منهـــا كقلـــبِ الـــواردِينَ نَـــدي
تَجْـري رخـاءً وزَهْـوُ الحـسّنِ يحرُسُـها ... فاخْـضلَّ منهـا جَـبينُ الـسهْلِ والنُّجُـدِ
ويـــا زهـــوراً بهـــا تُحيـــي نَـــسائمُها ... عنْ حُسنِها الفَرْدِ أمسى الحُسْنُ في زُهُدِ
مِـــنْ كـــلِّ جـــنسٍ ولَـــوْنٍ ألـــفُ فاتنـــةٍ ... بالطِّيـبِ تَنْـدى يـدي إنْ لامَـسَتْهُ يـدي
هـيَ الكنـوزُ.. وأنْـسُ الـنفْسِ بَهجتُهـا ... مـا مِثْـلُ أرواحِهـا للـرُّوحِ مِـنْ مَـدَدِ
أحـــسُّ فيهـــا عبيـــرَ الأهـــلِ مُنْـــسَكِباً ... يـا طِيـبَ ذِكْـرِ جـدودي دُمْـتَ مِـنْ رَفَـدِ!
لـولا طهـارةُ مَـنْ فيهـا لَمـا انتـشَرَتْ ... منهـا العطـورُ وأحيَـتْ كـلَّ مُفْتَئِـدِ!

*****

تلـــك الفرائـــدُ أغْنَتْنـــي مَحاسِـــنُها ... كأنمـا هـيَ رُوحـي وهْـيَ لـي عَـضُدي
مـــا رَقَّ لـــي الـــشِّعرُ إلا حـــينَ أذْكرُهـــا ... فَذِكْـــرُ أطيابِهـــا زادي ومُبتَـــرَدي
إنْ كان في الشِّعرِ لي مِنْ شَطْرَةٍ حَسُنَتْ ... فحُـسْنُها في دمـي مِـنْ ذلـك الأمَـدِ
لـئن بعُـدْتُ ابتعـادَ الطيـرِ عـن بلـدي ... فَعَـنْ دمـي لـمْ يكـن يومـاً بِمُبْتعِـدِ
تنـسابُ أحلـى معـاني الحـبِّ في كَلِمـي ... إذا تـــذكّرْتُ أنـــي صـــورةُ البلـــدِ

*****

ويـــا أبـــاً جالَـــدَ الأهـــوالَ منتـــصباً باركـتُ جُهـدَكَ كـمْ عـانى ولـمْ يَحِـدِ!
جبـــالُ فـضلِكَ مـــا تنفـكُّ شـــامخةً أدامَهـــــا وحماهـــــا اللهُ للأبـــــدِ
ويـا أشـقَّاءَ قلبـي... يـا مُنـى عُمُـري! لأنتُمـــو ســـلْوَتي في القُـــرْبِ والبُعُـــدِ
ويـا رفـاقَ الـصِّبا... يـا كَنْـزَ ذاكرتـي ذكـرى ليـالي صِـبانا لـمْ تَـزَلْ سَـنَدي
إذا ظمئْـتُ إلـى أنْـسٍ هَتفـتُ بهـا: رِدِي أيـا نفـسُ أشـهى مـا نَهِلْـتِ رِدِي
فلـيسَ مِثْلـي غنـيٌّ حـينَ أذكُرُهـا كـأنني مالِـكٌ أمـسي وحُلْـوَ غـدي

*****

ويـا ثـرىً ضـمَّ أمّـاً في الـضحى رحلَـتْ لأنـتَ مِـنْ أجلهـا الأغلـى علـى كَبِـدي
لمْ أقْضِ في حُضنِها عاماً ولا ابتهجَتْ برؤيـةِ الطفـلِ بـين الـدّلِّ والحَـرَدِ
أَوْصِلْ ـ بحقِّكَ ـ يا ربِّي السَّلامَ لها مُطهِّـــراً قلبَهـــا بـــالثَّلجِ والبَـــرَدِ
وارحَـمْ بيُتْمـي ومـا عانيْـتُ مُهْجتَهـا وارْحَـمْ بقـصفِ صِـباها كـلَّ ذي كَبِـدِ

*****

ويـــا ترابـــاً حَـــوى أهلـــي أتَقْبلُنـــي إذا أتيتُـــكَ جِـــسْماً جَـــفَّ كالوَتَـــدِ؟
لقـــد حمَلْتُـــكَ روحـــاً لا تُفـــارقُني فهـلْ سـتَقبلُ منـي مُـشفِقاً جَـسدي؟!
عَلِّـي وعَلَّـكَ ـ عفـوَ البَـوْحِ ـ مُوجِعـةٌ نجـوى الأحبَّـةِ.. فاعـذُرني أيـا بلـدي

خطوي إلى السّبعين

قلتُها في أوَّلِ يومٍ من أيام دخولي التاسعة والسّتين
من عمري...

خطـوي يجرجرنـي إلـى سـبعيني ... ويثيـرُ بـي خوفـاً مـن السّبعينِ
وتجـولُ في ظنّـي تجـاربُ مـن مَـضَوْا ... فـأرى خلاصـةَ مـا رأوْا تـشجيني
مالـتْ بـيَ الـدُّنيا، وكنـتُ أُميلُهـا ... وأُحـسُّها تعـدو لكـي تطـويني
زحفَتْ تهدِّدُ ضعفَ نفسي من غدي ... فلعلّهـا عـن فـاطري تُقـصيني
مـا عـدتُ ألقـى مـن بقايـا هِمَّتـي ... مـا كـانَ أمـسِ بريقُـهُ يُغرينـي
أسـعى لنـشرِ الحُـبِّ سـعيَ مُجاهِـدٍ ... فـإذا المُحـالُ أراهُ طـوعَ يمينـي
هيهـاتَ يومـاً أن أكِـلَّ وأنثنـي ... هيهـاتَ أرضـى سـاعةً بالـدُّونِ
واليـومَ؟ يـا لليـومَ والَهفـي لِمـا ... قـد صـارَ عمَّـا أبتغـي يُلهينـي!
الـسّمعُ قـلَّ، ورؤيتـي محـدودةٌ ... والعـزمُ لـيسَ بمنجـدي، ومعينـي
والأهـلُ قـد ملُّـوا مقـامي بينـهمْ ... وتـضجَّروا مـن علَّتـي، وأنينـي
وحـصادُ سـعيي لـمْ يعُـدْ سـبباً لِمـا ... ألقـى الـذي أمَّلْتُـهُ يُغلينـي
والـصَّحبُ شـتّتهمْ زمـانٌ لـمْ يـزلْ ... للقـائهمْ تحـتَ الثَّـرى يـدعوني
أرنـو أمـامي لا أرى أثـراً لهُـمْ ... إلاَّ مزيـدَ تأسُّـفي، وشـجوني
ووراءَ الـسَّبعونَ يُلهـبُ سَـوْطُها ... ظهـري لأمـضي نحـوَ مـا يُردينـي

وأنـــا الـــذي عـــشرونُه رســـمتْ لـــهُ ... مـــا فـــوقَ كـــلِّ الظـــنِّ، والـــتّخمينِ
أعـددتُ نفـسي واسـتقمتُ لمطمحـي ... ومَـــضيتُ أهـــزأُ بالـــذي يَثنينـــي
أسـعى لكـلِّ النَّـاسِ أُسـعِدُ عيـشَهُمْ ... وعلـــى المَعـــارِضِ لا أُرى بـــضنينِ
هـــذا الـــذي رســـمتهُ لـــي عـــشروني ... ومـــضى الزَّمـــانُ بكـــلِّ مـــا يَعنينـــي
أهـــلُ الزَّمـــانِ تبـــدَّلتْ أخلاقُهـــمْ ... فـــإذا بعـــيشِ النَّـــاسِ جِـــدُّ مُهـــينِ
مـــاذا أُحـــدِّثُ عـــن مهـــازلِ عـــالمٍ ... أدنـــى مخـــازي أهلِـــهِ تُردينـــي!
ظلـــمٌ تجـــذَّرَ في نفـــوسٍ خِلتُهـــا ... يومـــاً بكـــلِّ مطـــامحي تـــأتيني
ومـــذاهبٌ شـــتّى تُـــصارِعُ بعـــضَها ... وتظـــنُّ فُرقتَهـــا مـــن التّمـــدينِ
وتمـــسُّكٌ بمـــصالحٍ لا تنتهـــي ... حتَّـــى بـــسرقةِ لقمـــةِ المـــسكينِ
وغيـابُ مـا قـد كـانَ مـن قـيمٍ بهـا ... كنَّـــا أولـــي الأمجـــادِ، والـــتّمكينِ
فـــإذا بنـــا... واحـــسرتاهُ لِمـــا بنـــا ... بـــاللهِ عمَّـــا نحـــنُ فيـــهِ دعـــوني
للـــسمعِ والإبـــصارِ مـــا تـــؤذى بـــهِ ... صـــمتي، وتبيـــاني لهـــا يـــؤذيني

*****

ورَجعـــتُ للقـــرآنِ أتلـــو آيَـــهُ ... فرأيـــتُ في الآيـــاتِ مـــا يُنجينـــي
خطوي!! أجلْ خطوي إلى السَّبعينِ ... وأخـــالُ أمـــنَ العـــيشِ في الـــسّبعينِ
فهـــيَ الوقـــارُ بمـــا أنالـــتْ حِكمـــةً ... ولحكمتـــي أهـــلُ النُّهـــى تُـــدنيني
النَّـــاسُ تُكبـــرُ مـــا أقـــولُ، وتنتهـــي ... لمـــشورتي مـــن غيـــرِ مـــا تبيينـــي
فأنـا بمـا قـد عِـشتُ مـن عِبـرٍ أرى ... إمَّـــا دَعـــوتُ أُجِبـــتُ بالتّـــأمينِ

فـأعيشُ لا أخـشى غـدي فكفيلُـهُ ربٌّ إلـــى غفرانِـــه يـــدعوني
حـسبي بـأنّي مـا شـككتُ بعفـوِهِ وبـهِ تعـاظَمَ واطمـأنَّ يقينـي

*****

لا أيُّهـا الـوهمُ المـراودُ أنفُـساً لِتُـضلِّها... أنـا عِصمتي مـن ديني
فأنـا بفـضلِ اللهِ في سـبعيني أحيـا بـروحِ العـشرِ، والعـشرينِ
اللهُ أحيـاني إلـى السَّبعينِ كرمـاً، وآمـلُ منـه للتـسعينِ
فأنـا علِمـتُ بأنَّـهُ لـي فـاطرٌ وعلـى مـدى الأيَّـامِ كـانَ مُعيني
ولكَـمْ أفـاضَ الـرِّزقَ منـهُ تكرُّمـاً وازدادَ منـهُ بمـدِّهِ تطميني!
فاكتُـبْ نجـاتي يـا إلهـي رحمـةً إنْ لـمْ يكُـنْ عملـي لهـا يكفيني
ألهمتنـي أدبـاً فعِـشتُ أصـونُهُ فـإذا بـهِ دونَ الحـصونِ حـصوني
وبـهِ التزمـتُ بمـا قـدرتُ أُعِفُّـهُ ولعِفَّتـي لـمْ ألـقَ مـن يُقلينـي
فلكـمْ إلـى الآفـاقِ طـرتُ مبلِّغـاً أمـراً إلـى إبلاغِـهِ تهـديني!
مـا قلـتُ غيـرَ الحـقِّ فيـهِ فقـدرُهُ لا شـيءَ عـنْ إعلائـهِ يُغرينـي
والآن بـتُّ أسـيرُ للسبعينِ يـا طيـبَ لطـفِ بـشائرِ السّبعينِ!
سـربٌ مـن الأحفـادِ حـولي يغتـدي ويـروحُ مغتبطـاً لكـي يُرضـيني
في كـلِّ وجـهٍ قـوَّةٌ أحيـا بهـا وتثيـرُ في قلبـي كُمـونَ حنينـي
فـأعودُ كالأحفـادِ أمـرحُ لاهيـاً لا شـيءَ مثـلَ سـرورِهِمْ يَجلـوني
فـأرى الحيـاةَ حبيبـةً مـن أجلِهِـمْ ولأجلِهِـمْ أهـوى الـذي يعرونـي

وبِدمعـــةٍ حـــرَّى أُنـــادي ضـــارعاً يـــا ربِّ كـــن للأجيـــالِ خيـــرَ مُعـــينِ
وأعـــدْ بهـــم يـــا ربِّ عـــزَّةَ أمَّتـــي وابعـــثْ بهـــم ذكـــرى "صـــلاح الـــدِّينِ"
هـــذا الـــذي إنْ مِـــتُّ قبـــلَ مجيئـــهِ لأحُـــسُّهُ رغـــمَ البِلـــى يُحيينـــي

*****

حـــسبي بـــأنّي عـــشتُ للـــسبعينِ مهمـــا لقيـــتُ غـــداً مـــن الـــسَّبعينِ
إنَّ الـــذي أرجـــوهُ مـــن ســـبعيني قـــد فـــاقَ آمـــالي مـــن العـــشرينِ

غَــزْوُ العـالم

إليكم يا كلَّ من تعيشون على هذه الأرض المنكوبة بماديّة علمائها، سواء آمنتم معي أم لم تؤمنوا.. فأنا من معاناتكم ملأت ريشتي، ولخلاصكم أجريتها.. فهل تقبلون!

الحقــدُ بالتّــدمير يغــزو العالَمــا ... فــإلامَ يبقــى الحــبُّ فينــا نائمــا؟!
وعــلامَ يحكُمنــا العِــداءُ، وأهلُــه ... وعــلامَ لا نلقــى التّــسامحَ حاكمــا؟!
مــا زال فينــا الــشَّرُّ ينــشرُ جنــدَه ... متــسلِّطاً.. والخيــرُ يرقــدُ حالِمــا
أنَّــى تَــسرِ تَلْــقَ الحــروبَ تــسعَّرتْ ... والخــوفُ منهــا لــم يــزلْ متعاظِمــا
لــم تكفِنــا هــذي البــسيطةُ مــسرحاً ... لقتالنــا حتّــى غَزَوْنــا الأنجمــا
وإذا التَّحــالفُ قــام مــا بــين القُــوى ... فعلــى الخديعــةِ كــان فــيهم قائمــا
الغــربُ مثــلُ الــشرقِ ضــيَّعَ رشــدَهُ ... فكلاهمــا يهــوى الــدَّمارَ.. كِلاهمــا
كُــلاًّ تــراه بغيــرهِ متربِّــصاً ... قلِقــاً.. ويرجــو أن يكــون الحاطِمــا
والكــلُّ يعلــمُ أنَّمــا هــو هالــكٌ ... كــسواهُ إن يــضرِبْ.. فقُــبِّحَ عالِمــا

*****

الحقــدُ بالتّــدميرِ هــدَّد عالَمــاً ... مــا زال يلهــثُ شــاكياً.. متــشائما
ليكــادُ يقــضي حــاكموه تُخْمــةً ... والــشَّعبُ عــاشَ علــى الفُتــاتِ مزاحِمــا
والعــالِمونَ تــشاغلوا عــن بؤْسِــه ... يــا ليــتهم حــسِبوه مــن بعــضِ الــدُّمى
العُــرْيُ أمــسى للــشُّعوبِ كِــساءَها ... والجــوعُ صــبَّ علــى الظُّهــورِ قواصِــما

إن أنقــذوا نفــسًا فقــد قتلــوا بهــا ... كونــاً... وشــرُّ القتْــلِ مــا حــبسَ الــدَّما
أو خفَّفـــــوا ألمـــــاً، وداوَوْا علَّـــــةً ... فالــشَّرُّ مــن كــلِّ الجهــاتِ تفاقمــا
مــاذا ســيحكي الجيــلُ عــنكمْ في غــدٍ ... يــا مــن مــلأْتمْ بالعــداءِ العالَمــا؟!
أَقْلَقْتُمـــو روحَ الجـــدودِ بحقـــدكمْ ... وفرشـــتمو دربَ الـــصِّغارِ جَماجِمــا
مَــن يَــنْجُ مــنكم مــن دمــارٍ ســاقهُ ... للنَّــاسِ يَحْــيَ العُمْــرَ منــه نادِمــا
ولــو انَّ ســعيَ الــسَّابقين كــسعيِكم ... لَمحَــا، ومــا أبقــى وُجــوداً قائمــا
إلاَّ فنــاءَ الكــونِ لــن نلقــى غــداً ... إنْ نحــن لــم نحــيَ الحيــاةَ تفاهمــا

*****

يــا أيُّهــا الإنــسانُ إنَّــكَ ميِّــتٌ ... مهمــا تعــشْ ســتموتُ يومــاً راغِمــا
لا.. لــن يُــؤخِّرَ ســاعةً عنــك الــرَّدى ... مــالٌ.. ولا مجــدٌ.. ولــو بلــغ الــسَّما
ولأنــتَ أجهــلُ مــا علِمــتَ بموعــدٍ ... تلقــى بــه مــا كــان حَتْمــاً لازِمــا
الــدُّودُ يأكــلُ منــكَ كــلَّ خليّــةٍ ... مــتمهِّلاً.. فلقــد غــدوتَ لــه حِمــى
لا شــيءَ مــن دنيــاكَ يمنــع دودةً ... عــن مقلتيــكَ وإن ملكــتَ عوالمــا
فعــلامَ لا تحيــا الحيــاةَ محبَّــةً ... وتَزيــدُ فيهــا للأنــام تراحُمــا؟!
وعــلامَ لــم تأْخــذْ لنفــسِك عِبــرةً ... مِمَّــنْ مـضَوْا، وحـسبتَ مجـدَك دائمـا!
وعــلامَ خلَّفــتَ العِــداءَ لــوارثٍ ... أمَّلــتَ مــا أمَّلْــتَ منــه واهِمــا!
مــن ذا الــذي بالــسُّوءِ يــذكُر راحمــاً ... ومــن الــذي يهــوى الحقــودَ النَّاقمــا!
فرعــونُ رغــم المُلْــكِ لــم يُحمَــدْ لــه ... ذِكْــرٌ.. وقــارونٌ تــولَّى نادِمــا

*****

يـا قـومَ موسـى مـا أتـاكمْ بالأسـى ... موسـى.. ولا موسـى أحـبَّ الآثمـا
يـا قـومَ موسـى ديـنُ موسـى دعـوةٌ ... تقـضي عليكـم أن تزيلـوا الظَّالمـا
أوَلـم يُعِـنْ بِنْتَـيْنِ يجهـلُ مَـنْ هُمـا! ... أوَمـا أعزَّهمـا.. وكـان الهائمـا!!
أوَلـم يُخلِّـصْ شعبَكـم مـن ظُلْمـه ... وهـو الـذي مـا اسْـتلَّ يومـاً صـارِما!!
مـا دام هـذا شَـأْنه.. فعـلامَ لا ... نلقـى لدعوتـه لـديكم فاهِمـا؟!

*****

يـا قـومَ عيـسى لـم يكـن عيـسى أخـا ... حقـدٍ.. ولا حـربٍ.. ولا شـرِبَ الـدِّما
يـا قـومَ عيـسى إنَّ عيـسى مرسَـلٌ ... بالحـبِّ كـيْ يبقـى التَّـسامُحُ حاكِمـا
أوَلـم يُـدرِ للـضَّرْبِ خـدَّاً ثانيـاً ... ليقـيمَ للـصّفحِ الجميـلِ معالِمـا؟!
فعـلامَ يـا أتبـاعَ عيـسى لـم نجـدْ ... فـيكم كعيـسى غـافراً، أوْ راحمـا؟!

*****

يـا قـومَ أحمـدَ إنَّ أحمـدَ رحمـةٌ ... مـا زالَ فيهـا الدّهـرُ يحيـا ناعمـا
وسِـعَتْ بنـي الـدُّنيا علـى عُمُـرِ المدى ... وكمـا تـصونُهمو تـصونُ الـسَّائِما
لـم يرتفـعْ سـيفٌ لأحمـدَ سـاعةً ... إلاّ لتلقـى مـن أسـاءَ مُـسالِما
لـم تُبْـقِ ظُلمـاً في الزَّمـانِ سـيوفهُ ... كـلاَّ.. ولا أبقـتْ ظَلُومـاً سـالما
أوَلَـمْ يَخُـطَّ إلـى الجهـادِ عقيـدةً ... تَـدَعُ الـضَّعيفَ لكـلِّ ظُلْـمٍ هادمـا؟!
أوَلَـمْ يُوَحِّـدْ صـفَّ مـن قـد آمنـوا ... ليظـلَّ للطَّـاغوتِ دوْمـاً هازمـا؟!
وبـه أتـمَّ اللّـهُ دينـاً شـاءَهُ ... للنَّـاس يـومَ بَـرَى، وعلَّـم آدمـا
مـا حـادَ عنـهُ المرسـلونَ... وواحـدٌ ... مـا علَّمـوا. وأرى المعـدِّدَ واهمـا

والمخلصونَ على المدى مِنْ بعدِهمْ ساروا على نهْجِ النُّبوَّةِ دائما
أوَلَمْ تُقرقِرْ بطنُ أعدلِ حاكمٍ جوعاً، وقد ملأ البلادَ غنائما!
فتحَ الفتوحَ ولم ينلْ ثوباً بها وكسا بزهْوِ العدلِ منه عوالِما
عُمَرُ الذي وسِعَ الرَّعيَّةَ قلبُه وبأمرها ظَلَّ الرَّحيمَ الحازما
ما ضرَّهُ الثَّوبُ القصيرُ، ولا الطَّوى ما دامَ فيها بالعدالةِ قائما!
وعلى الثَرى أغفى، وقرَّتْ عينُه ورأى خشونَته حريراً ناعما
هيهاتَ أن ينسى عدالتَه الورى أو أن ترى يوماً عليها لائما!
كلُّ الشّرائعِ للمحبَّةِ قد دَعَتْ كلُّ العقولِ ترى المحبَّةَ عاصِما
فعلامَ يا مَنْ تدَّعونَ تدَيُّناً تتقاتلونَ، وتنصرونَ الظَّالما؟!
وعلامَ بالتَّدميرِ يمضي جهدُكم وإلامَ يبقى العقلُ منكم غاشِما؟!
فَهَلِ التَّديُّنُ أن تكون مُدمِّراً وهل التَّعقُّلُ أن تكون الهادما؟!
أيُّ الشَّرائعِ قد أقرَّت مجرماً أيكونُ شرعاً إن أقرَّ جرائما؟!
أين العقولُ إذا القلوبُ تحجَّرتْ أوَما عليها أن تكونَ الحاسما!!
وإذا العقولُ طغتْ.. فأين قلوبُكم فالقلبُ أجدرُ أن يكونَ الرَّاحِما!!
لا القلبُ حانٍ، لا ولا العقلُ اهتدى والسَّمعُ عن نَوْحِ الضَّعيفِ تصامَما
الأرضُ تُخرِجُ كلَّ آنٍ مَوْسِماً عجباً... وتُطْلِعُ للحياةِ توائما
والطَّيرُ تصدَحُ باللّحونِ شجيَّةً لتعلِّمَ الإنسانَ لحناً ناغِما
والزَّهْرُ يزهو بالجمالِ، وبالشَّذى فتشمُّ أنَّى سرْتَ عطراً فاغِما

والـــذِّئبُ يـــسلَمُ جنـــسُه مـــن غـــدرِهِ واللَّيـــثُ يـــأبى أن يـــصيدَ ضـــراغِما
والأرقـــمُ المرهـــوبُ فينـــا سُـــمُّهُ لـــم يُـــؤْذِ يومـــاً بالـــسُّموم أراقِمـــا
فعـــلامَ يـــا إنـــسانُ يـــا مَلِـــكَ النُّهـــى تهـــدي الـــدَّمارَ مواســـماً، ومواســـما؟!
وعـــلامَ نلقـــى كـــلَّ حِـــزْبٍ حاقـــداً متعـــصِّباً.. ويكـــاد يقتلُـــه العمـــى؟!
وعـــلامَ لا نحيـــا علـــى الحـــبِّ الـــذي فينـــا يفجِّـــرُ للجميـــلِ عزائمـــا؟!
أمِـــنَ التَّعقُّـــل أن يُـــدمِّرَ بعـــضُنا بعـــضاً.. وأن نحيـــا الحيـــاةَ تخاصُـــما!
أيكـــونُ يـــا عقـــلاءُ مـــن ســـاقَ الـــرَّدى لذَوِيـــهِ يومـــاً عـــاقلاً، أو عالِمـــا؟!
وَلَـــوَ انَّ هـــذا العلـــمَ واكـــبَ سَـــيْرَه خُلُـــقُ الرِّجـــالِ لمـــا رأينـــا عادمـــا؟!
الـــدّهرُ بـــالإجلالِ يـــذكُر مُحْـــسناً ولكَـــمْ يـــصبُّ علـــى المـــسيءِ شـــتائما!!
لا كـــانَ مـــن رضِـــي الـــشَّقاءَ لغيـــرِهِ لا كـــانَ يومـــاً مـــن أعـــانَ الظَّالمـــا!

*****

الحقـــدُ للتَّـــدميرِ يمـــضي ركبُـــه فتـــراه كالمـــوجِ العتـــيِّ تلاطُمـــا
مـــا زال يَفنـــي نفـــسَه بمـــسيره وأودُّ لـــو أنِّـــي رأيـــتُ اللاَّجِمـــا!
وَأدَ الحيـــاءَ العـــالِمون... فكلُّهـــم ســـعْيٌ حثيـــثٌ يـــستذِلُّ العالَمـــا
حُمَّـــى استباقِ الغـــزوِ لـــم تتـــركْ لهـــم عقـــلاً... فزِدْنـــا شِـــقوةً، وهزائمـــا
وَلَـــوَ انَّ شـــرعَ اللَّـــه قـــادَ خُطـــاهمو لرأيـــتَ وجـــهَ الكـــونِ يُـــشرِقُ باسِـــما
في الأرضِ خيـــراتٌ لكـــلِّ مُنقِّـــبٍ يحيـــا الأنـــامُ بهـــا ســـعيداً غانمـــا
أيَغُـــضُّ عنهـــا العِلْـــمُ عَمْـــداً طرفَـــه وعلـــى احتمـــالاتٍ يـــرودُ الأنجمـــا؟!
لـــو لـــم تكـــن آلامُنـــا مرْقـــىً لـــه لَعذَرْتُـــه.. لكنَّـــه قـــد آلمـــا!!

نـــسيَ الوفـــاءَ لعالَـــمٍ يحيـــا بـــه وارْتـــادَ يرجـــو في النّجـــومِ عوالمـــا
مـــا زالَ يجهـــلُ غايـــةَ الأمـــرِ الـــذي أفنـــى بـــه الأمـــوالَ في غـــزوِ الـــسَّما
مـــا لـــي وللأفـــلاكِ إنْ أختـــي هَـــوَتْ جوعـــاً، وأمِّـــي كـــاد يقتلهـــا الظَّمـــا؟!

*****

يـــا أيُّهـــا الإنـــسانُ إنَّـــكَ جاهـــلٌ مـــا قـــد يكـــونُ.. فكيـــف تُـــدعى العالِمـــا؟!
ولأَنـــتَ فيمـــا قـــد عَلِمْـــتَ مُتـــرجِمٌ مـــا زال يأمـــلُ أن يُعِـــدَّ تراجِمـــا
العلـــمُ علَّمـــه الإلـــهُ لـــسعدِنا وهَـــدى العقـــولَ لكـــي نـــصونَ محارمـــا
والكـــونُ ســـخَّرهُ لنخْلُفَـــهُ بـــه ويكـــونَ في بحـــرِ العدالـــةِ عائمـــا
وجميـــعُ مـــا في الكـــون ذلَّلـــهُ لنـــا ولنـــا بفـــضلِ اللّـــهِ أمـــسى خادمـــا
كـــلٌّ يناســـبُ غيـــرَهُ، ويُتمِّـــهُ فتـــرى الوجـــودَ علـــى التَّكامـــلِ قائمـــا
والكـــلُّ يـــشهدُ أنَّ ربَّـــاً خالقـــاً فطَـــرَ الأنـــامَ وكـــان فيـــه العالِمـــا
قـــاد العقـــولَ إلـــى اكتـــشافِ عـــوالِم فيهـــا يخبّـــيءُ للعلـــوم عوالمـــا
فعـــلامَ لا نحيـــا التّـــسامحَ والرِّضـــا ونعـــيشَ إحـــساساً عـــن الـــدُّنيا ســـما؟!
مـــا دامَ هـــذا العُمْـــر يمـــضي مـــسرعاً فعـــلامَ نحيـــاهُ أســـىً، وتـــصادما؟!
وعـــلامَ في وجـــه المجاعـــةِ لـــم نقـــفْ صـــفّاً.. فتغـــدُو كـــلُّ نفـــسٍ حاتَمـــا؟!
فلَـــنحنُ أقـــوى اليـــومَ ممَّـــن قـــد مَـــضَوْا في أنْ نُـــساهِمَ فـــوق مـــن قـــد ســـاهما
ولـــنحنُ أجـــدرُ أن نَزيـــدَ بعلمِنـــا عـــن ســـابقينا إلفـــةً، وتراحمـــا
ولَـــنحنُ أحـــوجُ للمزيـــدِ... وكلُّنـــا مـــا زالَ مفطومـــاً يُرجِّـــي الفاطمـــا

*****

في كـــلِّ آنٍ للمهـــيمنِ حكمـــةٌ يجلـــو بهـــا للنَّـــاس أُفْقـــاً غائِمـــا
مـــا زال يـــسعى العلـــمُ فيهـــا جاهـــداً ويظـــلُّ رَغْـــمَ جهـــودِهِ متعالِمـــا
فعـــلامَ نَعـــصي اللَّـــهَ في آلائِـــهِ وبمـــا تكـــرَّم لا نزيـــدُ مكارمـــا؟!
وعـــلامَ هـــذا العلـــمُ يُنكـــرُ ربَّـــه وهـــو الـــذي لـــولاه يومـــاً مـــا نمـــا؟!
لـــو أنـــصفَ العلمـــاءُ يومـــاً لاهْتَـــدَوْا وغَـــدَتْ علومُهمـــو إليـــه ســـلالِما!
وَلَـــوَ انَّ أمـــرَ النَّـــاسِ أمـــسى مُلْكَهـــم لـــرأيتهمْ في الـــدَّهرِ عاشـــوا دائمـــا!

*****

الحقـــدُ للتَّـــدميرِ يـــدعو أهلَـــهُ وأنـــا لمحْـــوِ الحقـــدِ أدعـــو العالَمـــا
وإلـــى التَّـــراحمِ ســـوف أحيـــا داعيـــاً عَلِّـــي أرى كـــلَّ الـــورى متراحِمـــا!!
ســـادَ القنـــوطُ، وعَمَّـــت البلـــوى، فهـــل ألقـــى لِمـــا أدعـــو أَرِيبـــاً حازمـــا؟!

*****

يـــا ربِّ جـــودُك لا يـــزال مُـــؤمَّلاً فـــأنِرْ لنـــا كونـــاً تبـــدَّى قاتِمـــا
النَّـــاسُ بـــالأهواءِ ضـــلُّوا، والـــرَّدى أمـــسى علـــى صـــدر الخلائـــقِ جاثِمـــا
عَـــزَّ الرّجـــاءُ، وحـــاقَ بالنَّـــاس الـــرَّدى واليـــأسُ عـــمَّ، وفي القلـــوبِ تراكمـــا
لمّـــا سَـــلَتْك الـــنَّفسُ ضـــاع صـــفاؤها والعقـــلُ بعـــد هُـــداكَ أمـــسى غاشِـــما
فـــأزِلْ مـــن القلـــبِ العـــداءَ لعلَّـــهُ يحيـــا بحبِّـــك يـــا إلهـــي سالمـــا!!

*****

مـــا غَيـــرُ شـــرعِكَ يـــا إلهـــي منقـــذٌ مِـــن شـــرِّ مَـــن أمـــسى لغيـــبٍ راجمـــا
إنِّـــي بـــسطتُ إليـــكَ يـــا ربِّـــي يـــدي ومـــددتُ ثانيـــةً أُعِـــينُ القادمـــا

للعـــالمين رجـــوتُ ربِّـــي رحمـــةً وهدايـــةً فـــامْنُنْ علينـــا راحِمـــا!
حاشـــا لجـــودِكَ أن تـــردَّ توسُّـــلي أو أن يظـــلَّ الكـــونُ يـــشكو الظَّالمـــا!
ولهـــا لهـــا أدعـــوك يـــا ربَّ الهـــدى علِّـــي أرى أَنْـــفَ المُكـــابر راغِمـــا
الحقـــدُ يغـــزو بالـــدّمارِ العالَمـــا وأنـــا بحبِّـــي ســـوف أغـــزو العالَمـــا

١٩٨٥

يا صُبح يا صُبح

يـا صُـبحُ يـا صُـبحُ إنَّ النـومَ قـد ذهبـا ... وطـالَ سُـهدي، وسـاءَ الـسُّهْدُ منقَلَبـا
ألفتـــهُ وتقاســـمْنا الوفـــاءَ فـــإنْ ... نـــأى رأيـــتَ فـــؤادي إثْـــرَه ذهبـــا
تمرَّسـتْ فيـه نفـسي فهـو لـي سَـكنٌ ... مـا كـانَ أكـرمَ حُبَّـاً حَبَّـبَ الوَصـبا!
أعيـشُهُ اليـومَ بعـدَ الأربعـين أسـىً ... وكانَ لـي في الـصِّبا المقهـورِ إلْـفَ صِبا
فراشـيَ القلـقُ الأعتـى، وسـامرتي ... مـنْ ألـفِ عـامٍ أراهـا تحمـلُ الحطبـا
تكـدَّسَ الليـلُ فـوقَ الليـل في طُرقـي ... واسـوَدَّ، وامتـدَّ حتـى لَيَّـلَ الـشُّهبا
وحـوليَ القـومُ أغفـوْا - عفـوَ غفـوتهم ... طالـتْ، وقمـتُ عليهـا حارسـاً حَـدِبا
لا صـحوةُ القـومِ تُرجـى، لا ولا مُقَلـي ... أغفـتْ، ولا أنـا قـدْ أدَّيـتُ مـا وجَبَـا

*****

يـا صُـبحُ يـا صُـبحُ إنَّ النـومَ قـدْ ذهبـا ... وأورثَتْنـــي همـــومُ الأمَّـــةِ النَّـــصبا
فـــلا تَرُعْـــكَ جراحـــاتي وكثرتُهـــا ... فخلفهـا ألـفُ جـرحٍ يَقـذِفُ اللَهبـا
ولا يَرُعْـكَ انفـرادي وحـشةً، وأسـىً ... وأننـــي بـــينَ أهلـــي عـــشتُ مغتربـــا
عُمْـرٌ تقـضَّى علـى مـا كـانَ مـنْ أمـلٍ ... فـلا اقتربـتُ، ولا مـن مُقلتـي اقتربـا
كم ذا اجتهدتُ، وكم جاهدتُ محتسباً ... وكـمْ صـبرْتُ، و كـمْ عانَيْـتُ مـا صَـعُبا!
مـا كـانَ أشـقاهُ عُمـراً ضـاعَ مـن عُمـري ... لـو لـمْ أكـنْ بإلـهِ العـرشِ مُحتـسِبا!
مـا ضـرَّني حقبـةٌ مـن عمْـريَ انـصَرمتْ ... مـا دمـتُ أملـكُ في دُنيـا الهـدى حقَبـا

*****

يـا صـبحُ يـا صـبحُ للأقـدارِ حكمتُهـا ... فــلا تمــلَّ إذا لــم نحــرزِ الغَلَبــا
حــسْبُ الرجولــةِ أقــدامٌ لنــا دَميــتْ ... علـى الطريـق.. ولـم نستـشعرِ التَّعَبـا
وأنَّ دربــاً حَفينــا فوقهــا زمنــاً ... حُبّـاً بهـا قـد رفـضنا القَـزَّ، والـذّهبا
تبقـى علـى الـدهر أعمـالٌ لنـا سَـلِمَتْ ... لكــي تقــولَ بأنّــا لــم نكُــنْ ذنَبــا

*****

يـا صـبحُ يـا صـبحُ إنَّ النـومَ قـدْ ذهبـا ... ومـا عَتبْـتُ فعتْبـي يُغـضبُ الهُـدبا
أنـا الـذي اختـرتُ دربـي راضـياً، وأنـا ... رأيــتُ كــلَّ عــذابي فيــهِ قــدْ عَــذُبا
حـسبي وحـسبُكَ منـي أنَّ لـي خلَـداً ... رغـمَ الأذى لـم يـضِقْ ذَرْعـاً ولا عَتبـا
يسلـسلُ الـشِّعْرَ ألحانـاً تـذوبُ جـوىً ... ونبــعُ إلهامــهِ القدْسـيِّ مــا نــضَبا
وكــلُّ شــعرٍ أتــى مــن قلــبِ مبدعِــهِ ... ســرى إليــكَ وفي أعماقــكَ انــسكبا
قـد تنفُـرُ الأذنُ مـن صـوتٍ بـهِ طـربٌ ... وقــدْ تُحِــسُّ بــصوتٍ صــاخبٍ طربــا
يـا صُـبحُ يـا صُـبحُ إنَّ النـومَ قـدْ ذهبـا ... وقــدْ تعــاظَمَ مــا للقــومِ قــدْ وجبــا
لا النصحُ يُجدي، ولا في القومِ ذو رَشَدٍ ... فيُــسْتَثَارُ لِمــا مــن أمرنــا حَزبــا
قـدْ وحَّـدَ القـومَ حـبُّ الـذلِّ في زمنـي ... فكلُّهــم يتــشهّى لــثمَ مَــنْ ضَــربا
مــاتَ الإبــاءُ بنــا... فارتــاحَ غاصِــبُنا ... هيهــاتَ تلقــى أبيّــاً ثــارَ، أو غــضِبا

*****

يـا صُـبحُ يـا صُـبحُ إنَّ الهـمَّ قـد غَلَبـا ... فــلا يَرُعْــكَ فــؤادي ضــجَّ أوْ وَثَبــا
فمــا اســتقرَّ، ولا أغرتْــهُ بارقَــةٌ ... عنْ همِّ قومي.. ولا مثلَ القلوبِ صبا
حزنـي علـى الأمـسِ، خـوفٌ مـن غـدي ... فألهبـا في فـؤادي اليـأسَ فاضـطربا

*****

يـا صـبحُ عفـوكَ مـا حزنـي بمنقطـعٍ ولا إخـــالُ شـــكاتي تُـــذهبُ النَـــصَبا
حـــبٌّ وهبـــتُ لـــهُ عمْـــري وأوجـــعُ مـــا يُجـــزى بـــه واهـــبٌ إنكـــارُ مـــا وَهبـــا

*****

يا صبحُ يا صبحُ طيفُ النومِ قدْ غرَبا ونـــورُ كـــلِّ نجـــومِ الأمنيـــاتِ خَبـــا
أنـــاملي العـــشرُ قـــد أشـــعَلتُها قبـــساً للمـــدلجينَ فـــصبّوا حقـــدَهمْ سُـــحُبا
أكـــادُ أذوي علـــيهمْ حـــسرَةً، وأســـىً ومـــا رأيـــتُ لمـــا بـــي منهمـــو حَـــدِبا
لا تعجـــبنْ مـــنْ شـــكاتي فهـــي هيِّنـــةٌ فقـــصّرُ أخلاقنـــا مـــن ركنـــهِ خربـــا
ضـــاعتْ عقيـــدتُنا في كهـــفِ غربتنـــا وبـــدرُ آمالنـــا مـــن أفْقنـــا غَربـــا
في كـــلِّ بيـــتٍ تـــرى نـــاراً مُـــسعَّرةً وقـــد جعلنـــا عليهـــا أهلَنـــا حطبـــا
غـــداً ســـينفدُ أهلونـــا وبعـــدَ غـــدٍ كمـــا فعلنـــا بهـــم نغـــدو بهـــا لهبـــا

*****

يـا صُبحُ يـا صبحُ إنَّ الليلَ قد تعبـا فهـــلْ أرى لـــذيولِ الليـــلِ مُنقـــضبا!
يـا صُبحُ يـا صبحُ أُذْنـي ألـفُ مُـصْغِيَةٍ إلـــى أحاديـــثِ عـــزٍّ قـــد تثيـــرُ إبـــا
كـم ذا أحـــنُّ إلـــى اســـتلهامِ ملحمـــةٍ الـسيفُ يـسبقُ فيهـا الـشِّعرَ والخُطبـا
ويـصدقُ العـزمُ فيهـا صـدقَ معتـصمٍ رأسُ العـــدوِّ غـــدا لمـــا انتخـــى تَربـــا
طـالَ اشـتياقي وهـذا الكـونُ مرتقِـبٌ يرجـــو لقـــومي أيـــا ربَّ الهُـــدى سَـــبَبا
أكـــادُ أذوي ومـــوجُ اليـــأسِ يغلبنـــي لـــولا اســـتقرَّ بقلبـــي مـــنْ لَـــدُنْكَ نبـــا
إنَّـــا لننـــصرُ مـــنْ قـــد آمنـــوا وأرى نـــصراً وعـــدتَ بـــهِ يـــا ربِّ مُقتربـــا
لكـنَّ مَـن يـدَّعونَ النـصرَ قـدْ كـذبوا أُجِـــلُّ نـــصرَكَ أنْ يـــؤتى لمـــنْ كـــذِبا

*****

يا صبحُ يا صبحُ قومي، آهِ واعجبي ... من حالةٍ حيَّرَوا في أمرها العَجبا
على هداكَ غَدونا أمَّةً وثبتْ ... تُعِزُّ بعدَ شتاتٍ بالهُدى الحِقبا
بالأمسِ كانتْ ملوكُ الأرضِ ترهبُها ... والناسُ تخطُبُ منها وُدَّها رغَبا
كانت على رغم ما امتدَّتْ وما حكمتْ ... أمّاً رؤوماً، وكانتْ للأنامِ أبا
لم تُبْدِ ظُلماً، ولم تُغفِلْ عدالتُها ... خصْماً، وكم نالَ حقّاً بعدَ أنْ غُلِبا؟
تشعبتْ في بقاعِ الأرضِ تعمرُها ... وجيشُها حكمَ الدُّنيا وما انشعَبا
واليومَ نحيا كأنَّا لم نكنْ أبداً ... لا مُسلمينَ أعزّوا الأرض، لا عربا
الذّلُ نحسبهُ من ضعفِنا أدَباً ... ومنهجاً حققَ الآمالَ والأربا
والعزُّ يسخرُ منَّا حين نذكرُهُ ... حتى الترابُ تشكّى رأسَنا التربا
تفنَّنَ القومُ من ملءِ البطونِ وما ... أبقوْا لذلك لا فَنّاً ولا سَببا
واستوردوا كلَّ ما في الأرضِ من بِدَعٍ ... وأبدعوا في اللباسِ الوشيَ والقَصَبا
والروحُ تشكو خواءً لا حدودَ لهُ ... والفكرُ تلقاهُ مجلوباً، ومُضطرِبا
نُفَلسِفُ الجهلَ عن علمٍ ونعبدُه ... وكم نزوِّرُ في إرضائهِ الأدبا!
ونهدرُ المالَ فيما لا انتفاعَ بهِ ... وكم يَعِزُّ إذا للخيرِ قدْ طُلِبا!
ونقبلُ الضُّرَّ في قولٍ وفي عملٍ ... ونحنُ نعلمُ أنّا نحصدُ العطبا
ونبعدُ النفسَ عمّا يبتني غدَها ... ولا نحسُّ حيَاءً حولَ ما ارتكِبا
ونورثُ الجيلَ باسمِ العلمِ كل عمىً ... وندَّعي أنْ أزلنا الجهلَ والحُجُبا
والحقُّ والَهفتي للحقِّ نهجرهُ ... ونستكينُ إذا ما ضاع أو سُلِبا

ألـــدُّ أعـــدائنا يحتـــلُ منزلَنـــا ونحـــنُ في بيتنـــا عـــن أهلنـــا غُرَبـــا
الأغنيـــاتُ غـــدَتْ للحـــربِ عُـــدَّتنا فلـــيسَ إلاّ بهـــا نـــستعجلُ الغَلَبـــا
إذا شـدتْ في كهـوفِ الليـلِ بنـتُ هـوىً كنّـــا الـــسكارى، ونمنـــا عامنـــا طربـــا
ولـــيسَ إلاّ بهـــذا الـــسُكْرِ مـــنْ أمـــلٍ في جمـعِ أشـتاتِ قـومٍ شـوَّهوا النَسبا
القـدسُ ضـاعتْ، وضـاعتْ قبلهـا قـيمٌ فـألفُ قـدسٍ بقلبـي تـشتكي الـسَّلبا
مـــاذا أُحـــدِّثُ عنهـــا، آهِ مـــن زمـــنٍ عـــمَّ الجفـــافُ وأُمطرنـــا بـــه نُوَبـــا!
تبـــدَّلت قـــيمُ الإنـــسانِ وانقلبـــت فكـــلُّ أمـــرٍ تـــراهُ اليـــومَ منْقَلِبـــا
فكـمْ تـرى الـرأسَ ذيـلاً، أو تـرى ذنبـاً قـد صـار في الـرأسِ؟ آهٍ كـمْ تـرى ذَنَبـا!
هيهـاتَ تلقـى بقـومي مُخلـصاً عمـلاً إلاّ وضُـــيِّعَ مفتونـــاً، أو اغتربـــا
المبـــدعون تـــراهم شُـــتِّتوا وقـــضَوْا والأرذلـــونَ اســـتحالوا قـــادةً نُجَبـــا
والعـــالمونَ غَـــدَوْا بوقـــاً لظالمنـــا فمنتهـــى علمهـــم تبريـــرُ مـــا ارتَكبـــا
والتُرَّهـــاتُ غـــدتْ للحكـــم معتَمـــداً فلـــيسَ إلاّ عليهـــا يمـــنحُ الرُّتَبـــا
الجاهليـــةُ عـــادتْ ألـــفَ جاهلـــةٍ وصـــار كـــلُّ يقـــينٍ عنـــدنا ريَبـــا
للجاهليـــةِ أصـــنامٌ محـــدَّدةٌ وألـــفُ تمثـــالِ ربٍّ حولنـــا انتـــصبا
للجاهليـــةِ أصـــنامٌ توحِّـــدُها وجاهليتُنـــا صرنـــا بهـــا شُـــعَبا
أصـنامُها لـم يكـنْ يُـؤذى بهـا أحـدٌ ونحـــنُ نلقـــى بهـــا الإذلالَ والنَّـــصَبا
يـــا جاهليـــةُ عفـــواً أنـــتِ مؤمنـــةٌ وكفرنـــا زادنـــا فـــوقَ العَمـــاءِ غَبـــا
وكـــانَ منهـــا علـــى علاّتِهـــا قـــيمٌ ونحـــنُ نقْتُـــلُ فينـــا الـــدينَ والأدبـــا

في كلِّ نفسٍ ترى الأحقادَ عاصفةً ... حتى طغى الحقدُ فيها، والهوى غلبا
فلا الرجالُ رجالٌ حينَ تطلُبُها ... ولا النساءُ تراها تحضنُ الزُّغُبا
باعتْ أنوثتها في سوقِ شهوتِها ... وعرَّتِ الصدرَ باسم الفنِّ والرُّكبا
وأرخصتْ كلَّ ما أغلتْهُ فطرتُها ... فحبُّها الغربَ أعمى عقلَها، وسبى
لما أضاعتْ وما صانتْ أُمومتها ... عانى المذلّةَ هذا الشعب واكتأبا
يذرو به القهرُ، والتشريدُ يجمعُهُ ... فالفكرُ منه خَبَا، والعزمُ منهُ كبَا
ما أتعسَ الجيلَ محروماً رعايتَها ... وأكرمَ الجيل من تحْنانِها شربا!

*****

يا صبحُ يا صُبحُ إنَّ الأمنَ قدْ صُلِبا ... فكلُّ نفسٍ تعيشُ الذُّعرَ والرُّعُبا
لم يبقَ للقومِ من بُشرى لمرتقبٍ ... وما إخالُ أرى في القومِ مرتقبا
كلُّ الحرامِ غدا حِلاً لقادتنا ... ونحنُ نجْتَرُّ من تجويعِنا السَّغبا
بالظلمِ قد حكموا، بالبغي قد شُغِلوا ... بالفتكِ قد ملؤوا أقطارَنا رهَبا
لوحدةِ الشعبِ قد جاؤوا ونُصْرَتِهِ ... وجاهدوا ليظلَّ الشعبُ منشعِبا
مَنُّوا عليهِ بحرِّياتهِ انطلقَتْ ... وَحَدُّها أن يُجيدَ الرقصَ واللَّعِبا
يُحصونَ أنفاسَ منْ قد باتَ مُحتضِراً ... ويرهبون من الأمواتِ أنْ تَثبا
قد أبدعوا القمعَ دستوراً نُسَاسُ بهِ ... فالكلُّ يزهو بكم أفنى، وكمْ صلَبا
تفننَّوا في استلابِ الشعبِ لقمتَهُ ... باسمِ الجهادِ ويا ويلاهُ كم نُهِبا!
تحوَّلَتْ لبنوكِ الغربِ أرصدةً ... على العدوِّ جرتْ أنهارُها ذهبا

قـد اسـتحالتْ إلـى تـدميرنا عُـدَداً وكـادَ لفـظُ اسْـمها أن يوقـعَ الهَرَبـا
بهـا غزانـا، بهـا سـاقَ الفنـاءَ لنـا بهـا اسـتباحَ حِماَنـا، وازدهـى عَجَبـا
إذا الطغـاةُ تمـادَوْا في ضـلالتهمْ فـإنَّ كـلَّ قـصورِ الأمنيـاتِ هَبـا
قـدْ وحَّـدَ الكفـرُ أهـلَ الكفـرِ واعَجبـي وصـارَ أمـرُ أولـي التوحيـدِ مُنـشعِبا
مـا كـانَ ظلمـاً قـضاءٌ حـلَّ سـاحتنا فلـيس يُجـزى امـرؤٌ إلاّ بمـا كـسبا

*****

يـا صُبحُ يـا صُبحُ إنَّ النـومَ قـد ذهبـا فـألفُ عـذرٍ إذا أُنـسيتُ مـا وَجبـا
لمـنْ أبـوحُ؟ ومـا جـدوى النـواحِ وهـلْ يُجـدي العتـابُ إذا ناديـتَ منتَحِبـا؟
سُـدَّت مـسامعُ مـنْ يُرجـى لمحنتِنـا وخلـفَ ألـفِ جـدارٍ وجهُـهُ احتَجَبـا
في كـلِّ يـومٍ تـرى أرْضـاً لنـا سُـلِبَتْ وكـلَّ يـومٍ تـرى حقـاً لنـا اغتُـصبا
وأمتـي ألـفُ شـتى، ألـفُ شِـرذمةٍ وكـلُّ شِـرذمةٍ قـدْ أصـبَحَتْ عَرَبـا
نـشنُّ في كـلِّ يـومٍ ألـفَ معركـةٍ لكـنْ تُـشَنُّ علـى الأهلـين واحربـا
سـيوفُنا في رقـابِ الأهـلِ قاطعـةٌ وفي الحـروبِ تـرى أمـضى الـسيوفِ نبـا
نخشى عتادَ العدى لو كان من خشبٍ وإنْ غزينـا تـرى فولاذَنـا خـشبا
كـم ذا تمنّيْـتُ والأعـداءُ تهزمُنـا في كـلِّ معركـةٍ أن نُحـسنَ الهَرَبـا
"رعاتنـا" مـا وَعـوا يومـاً ولا احترمـوا حـقَّ الـشعوبِ ولكـنْ أتقنـوا الكَـذِبا
إذا اشـتكى الـشعبُ عُريـاً وزَّعـوا صُـوراً أو اشتكى الشعبُ جوعاً طوّلوا الخُطَبا
لا يـصلُحون لأمـرٍ غيـرَ أنهمـو سَـرُّوا العـدوَّ غـداةَ اختـارَهُمْ لُعَبـا

*****

يـا صـبحُ للمـسجدِ الأقـصى قداسـتُهُ فحُبُّـــهُ نـــسبٌ... أكـــرِمْ بـــه نَـــسبا!
قـــد كـــان قِبْلتنـــا الأولـــى وبارئـــهُ إليـه أسـرى بمـنْ مـنْ رسُـلِهِ انتخبـا
ومنـــه كـــانَ لـــهُ المعـــراجُ مُعجـــزَةً لـم تبـقِ في الـدهرِ شـكّاً لا، ولا رِيَبـا
فيهـــا رأى مـــا أراهُ اللهُ عـــن كَثَـــبٍ وقـــابَ قوســـينِ أو أدنـــى قـــد اقتربـــا
إسـراؤه كـانَ، والمعـراجُ شـمسَ هـدى يظـلُّ فـيضُ سَـناها يَهتِـكُ الحُجُبـا
إســـراؤه منـــهُ والمعـــراجُ كـــان لنـــا أمـــراً مـــن الله أن نبقـــى لـــه النُّجُبـــا
نفديـــه، نمنـــعُ بـــالأرواحِ تُربتَـــهُ نفنـــى ولا ســـاعةً نلقـــاهُ منتحبـــا

*****

يـا صـبحُ مـسجدُنا الأقـصى يدنِّسهُ رجسُ اليهودِ، وقومي حالفوا اللَّعبا
نغفـو علـى أعـذبِ الأحـلامِ حـين غـدا يبكـــي ويـنـــدُبُ محروقـــاً ومنتَهَبـــا
مـــا حركَّـــت ســـاكناً فينـــا مـــصيبتُهُ ولا شـكونا، ولـم يلـقَ الـذي شَـجبا
لا المـالُ ننفقُـهُ مـن أجـلِ نـصرتِهِ ولا نُقـــرُّ فـــدائياً لـــه غَـــضبا
وواحـــدٌ مـــن ألـــوفِ الأثريـــاءِ بنـــا لـو شـاءَ جهَّـزَ جيـشاً يَـضْمَنُ الغَلبـا

*****

يـا صُبحُ عفـوَكَ مـا شكوايَ مـنْ جَـزَعٍ لـو أنَّ مـا بـيَ مَـسَّ الـصخرَ لانعطبـا
همـــومُ قـــومي مـــذيباتٌ وأخطرُهـــا ألاّ تـــرى شـــاكياً منهـــا ومنتَحبـــا

*****

يـا صُبحُ يـا صُبحُ أمـرُ اللهِ قـد غَلبـا فعفـــوَ ربّـــي إذا لـــم أُحـــسِنِ الأدَبـــا
يـــا صـــبحُ هـــذي همـــومٌ لا أعـــدِّدُها فهـــي الحـــصادُ لمـــن في زَرْعهـــا تَعِبـــا

هــذي الهمــومُ بقلبــي كلُّهــا نزلــتْ ... وقــدْ رأتْ في فــؤادي منــزلاً رحُبــا
فكــلُّ مــنْ آمنــوا أحــزانهم حَزَنــي ... وكــم أحــسُّ إذا نــالوا المنــى طربــا!
علِّــي أرى خيــرَ خلــقِ الله يــشفعُ لــي ... لِمــا حملــتُ، ومــا ألقــى، ولــو صَــعُبا
إنــي اجتهــدتُ وحــسبي أن أكــونَ إلــى ... مــا كــانَ يرضــي رســولَ اللهِ مُقتربِــا

*****

يــا صُبحُ يــا صُبحُ لــو أنَّ المنــى جُمِعَــتْ ... وكــان للقلــبِ أن يختــارَ مــا طلبــا
لكــانَ كــلُّ رجــائي أن يجــيء غــدٌ ... ولا يُــرى مــسلمٌ في الأرضِ مكتَئبــا
ولــيسَ ذاكَ عزيــزاً إن نَرُمــهُ بمــا ... مــن بعــدِ ذلٍّ، وضــعفٍ وحَّــد العَرَبــا
هــو الــسبيلُ ولا واللهِ لــيسَ لَنــا ... إلاّ بمنهجــــهِ أن نبلُــــغَ الأَرَبــــا

*****

يــا صــبحُ يــا صــبحُ في أقوالنــا ظمــأٌ ... فكيــف نُــذهِبُ جوعــاً هــدَّدَ الكُتُبــا؟
نُملــي مــن الكُتْــبِ آلافــاً مؤلَّفَــةً ... ولا نُحــسُّ بهــا معنــىً، ولا أدبــا
وقولــةٌ مــن رســولِ اللهِ واحــدةٌ ... تمــضي القــرونُ، وتبقــي روحَ مــا كُتبــا
كــم أيقظــتْ أُممــاً طــالَ الرقــادُ بهــا ... وجــدَّدتها فنالــتْ بعــدها الغَلَبــا!
وكــم أزالــتْ مِــنَ الــدُنيا جبــابرةً ... لَمــا بغَــتْ، وأرَتْهــا الهــولَ منتــصبا!
وكــم أعــادتْ لــذي شــكٍ بــصيرتَه ... وكــمْ أزالــتْ فمــا أبقــتْ بنــا رِيَبــا!
وتغمُــرُ الأرضَ والأكــوانَ حِكمتُهــا ... ولــم تغــادرْ لعلــمٍ نــافعٍ ســببا
والبــاحثون ومــنْ للعلــم قــد نَهــدوا ... ومــن أضــاعوا بعلــمٍ واحــدٍ حِقَبــا

والبـــالغونَ مـــن الدُّنيـــا مراتَبهـــا والمـــانحونَ بهـــا الألقـــابَ والرُتبـــا
لـم يبلغـوا بعـضَ مـا قـد قـالَ أحمـدُنا وهـــو الـــذي عـــاشَ أميِّـــاً ومـــا كتبـــا
وقولـهُ الحـقُّ عبـرَ الـدهرِ مـا شُـجبا ولا ارتـــضى الحـــقُّ إلاَّ نهجَـــهُ نـــسَبا

*****

يـا صُـبحُ يـا صُـبحُ أعلنْهـا بـلا وَجَـلٍ إنـــي أرى الجيـلَ للأوهـامِ قـد جُـذِبا
تهيَّـــأتْ كـــلُّ أســـبابِ الـــضياعِ لـــهُ ولـــم نهـــيِّءْ لمـا يُجـدي ولـــو سَـــببا
ولـــيس ينفـــعُ شـــعباً جيلُـــهُ خَـــرِبٌ أنْ يملـكَ الأرضَ أو أنْ يغـزوَ الـشُّهبا

*****

يـا صُـبحُ يـا صُـبحُ إنَّ الليـلِ قـد تَعِبـا وآنَ للَّيْـــلِ أنْ نلقـــاهُ منقـــضِبا
مهمـا وَهـى، ونـأى عنـكَ الـضياءُ بَـدا رغـمَ الظـلامِ شُـعاعٌ يهتِـكُ الحُجُبـا
إنـــي أرى في رؤى الآتـــينَ ألـــفَ سَـــناً وألـفَ شـمسٍ تُمنِّـي بالهـدى العَربـا
فيـا رؤى الجيـلِ بوركـتِ الرجـاءَ ويـا ليـلَ الخفـافيشِ إنَّ الـصُبحَ قـد قَرُبـا

*****

يـــا ربِّ عفـــوَكَ عـــنْ هـــمٍّ أُكابـــدُهُ فقـد أطلـتُ، ومـا وفَّيـتُ مـا وجَبَـا
يـــا ربِّ ردَّ إلـــى التوحيـــدِ أُمتنـــا لعلَّهـــا تُرجِـــعُ المجـــدَ الـــذي ذَهبـــا
أدعـوكَ ربـي وقـد عـزَّ الرجـاءُ، ولا أرى ســـواكَ مجيـــراً يكـــشِفُ النُّوَبـــا

كُتبتْ على فترات من ١٩٧٢ ـ ١٩٨٢

ممّا قيل عن شعر صاحب هذا الديوان

رأى بعض أصحاب الفضل والرأي أن تكون لهذا الديوان مقدمة، واجتمعت آراء من لا قِبَلَ لي إلا قبول ما أحبّوه لي فتم اختيار هذه الشذرات اللطيفة من مقدمات أصحابها وكلماتهم الطيبة محسنين بذلك ظنّهم بي فجزاهم الله عني كل خير.

وهذا ما تم اختياره:

وشاعرنا **مصطفى عكرمة**، لصدق عاطفته، وعمق معاناته، وتوقّد وجدانه، ينقل القارئ، يشدّه، يغمسه في المأساة، ثم لا يلبث أن ينتزعه من جحيمها ليضعه أمام عظمة الفداء، الإيثار، التضحية، الكبرياء.

فاقرأ إحساس شاعر الكرامة بما في لفظه من عذوبة، وأسلوبه من سلاسة، وفكره من توثب وثورة وانعتاق وتمرد، وما في موسيقاه من نغمٍ وانسياب.

من مقدمة لمسرحية جند الكرامة / آب ١٩٧٢

للشاعر الكبير الأستاذ حامد حسن

ومن المعلوم أن الشعرَ يُغري صاحبَه باللحاق وراء متعةِ النفس، والركون إلى أهوائها، وأنه يدفع إلى التعبير عمّا تُكنُّه ينابيعُ الشَّهواتِ في القلب، وتطمح إليه مشاعرُ الصّبوةِ في النفس، ولذلك قلَّ أن تجد شاعراً لا يستبيح لنفسه من أنواع الجنوح ما ينحرف إليه جُلُّ أندادِه من الفئات الأخرى.

ولكن الأستاذ **مصطفى** لم يَتبعْ شعرَه لحاقاً بتلك المنعطفات، بل أصرَّ على شعره أن يكون هو التابع له إلى معالي الأفكار والمعاني بعيداً عن سفسافها.

إنني أشكر له هذا النهج، وآمل أن يكون قدوة لغيره في ذلك.

من مقدمة ديوان صيحة / ١٩٩٦

لفضيلة الدكتور العلامة

محمد سعيد رمضان البوطي

شعره يمزج بين الدين والوطنية، والتدفق والجزالة، وبين دقة التصوير وصدق العاطفة يطلقها تسابيح تربطنا بالخالق سبحانه، فتبعث الحب والإيمان والثقة والطمأنينة.. ويطلقها أشعاراً تمجّد أبطال الأمة وشهداءها ومجاهديها، وتُسطِّر بطولات الانتفاضة والمقاومة، وتظلُّ فلسطين والقدس حاضرةً في أشعارهِ وقصائده، يرسخها في القلوب والعقول، ويبعث الأمل بأنّ النصر قادم بإذن الله..

من مقدمة ديوان مجد الحصى

للأستاذ المجاهد خالد مشعل

رئيس المكتب السياسي لحركة حماس

إن لكل شاعرٍ مزيّتَه، وللشاعر الكبير **مصطفى عكرمة** مزايا، من أهمها أنه الشاعر الإسلامي الذي ترى إسلامه في شعره، يصل إلى قلبك في كلِّ بيتٍ يقوله، فلا يكاد ينظم قصيدة إلا وترى فيها الهدف الإسلامي، والوحيَ الإلهيَ ينبض بها شعره، وتلك هبة الله سبحانه، وبحقٍّ يَحِقُّ لي أن أسميه (**شاعر الإسلام**).

إنَّ (**مصطفى عكرمة**) من هؤلاء الموهوبين، يصل ما انفصل من شعرٍ رصينٍ، ولغةٍ صحيحة، وأدبٍ رفيع، فيعيده إلى منبعه أيام الأمويين، والعباسيين، والنهضة الحديثة في أوجها.

من مقدمة ديوان محمديات / ١٩٩٨

لشيخ قراء دمشق

الأستاذ محمد كريّم راجح

ومن هذه القلّةِ التي ترسَّمت هدْيَ هذه الكلمات النبوية، فكان الشعر لها مبدأ حياة ورسالة، وصار له فيه إسهامات جليلة، صديقنا الأستاذ الكريمُ **مصطفى عكرمة** أبو رِفاعة، فقد كان لا يفتأ يُتْحفنا كلما ضمّنا مجلسٌ بما فاضَ بهِ خاطرهُ من قصائدهِ العِذاب، وستقرأ في هذا الديوان إضمامةً منها، وإنك واجدٌ فيها من صدقِ الحب

للنبي ﷺ ما يُنعش النفوس، ويُفعم القلوب حبّاً وشوقاً لهذا النبي الكريم الذي كان بحقٍ رحمةً للعالمين.

من مقدمة ديوان محمديات ١٩٩٨

للأستاذ محمد نعيم عرقسوسي

خطيب جامع الإيمان ومدرسه . دمشق

وظل الشاعر **مصطفى عكرمة** يحمل هموم أمته أنَّى ارتحل، وظلت قضية عروبة فلسطين شغله الشاغل، وكثيراً ما ذرفت عيناه وهو يصور مشهداً بطولياً للشهيد، ولأم الشهيد، وكثيراً ما بادله الجمهور هذا الشعور، فتلهب الكلماتُ النفوسَ حتى يتمنى كل منا أن يكون ذاك البطل الشهيد، وأن تكون كل امرأة هي أم الشهيد.

من مقدمة ديوان مجد الحصى

للأستاذ الدكتور أحمد علي كنعان

مدير المناهج في وزارة التربية السورية ورئيس قسم المناهج والتدريس في كلية التربية والوكيل العلمي فيها

تقرأ شعرهُ فتجدُ فيه الحسَّ المرهف، واللوعة الصادقة، والقدرة على تجديد المعاني ثم إعادة توليدها، ومن كلِّ زاوية من مشاعرنا يقتحمُ ويسرقُ القلوب ثم يعيدها وقد أفاض عليها من حيِّ وجدانهِ وصدقِ عاطفتهِ.

ولقد كانَ شعرُ الأستاذ (كتيبةً وحدَه) يصولُ بها ويجولُ ثم يزرعُ في الأعماق إيماناً راسخاً، وحبّاً دافقاً للجهادِ والاستشهاد.

من مقدمة ديوان مجد الحصى

للأستاذ أحمد معاذ الخطيب الحسني

مدرس وخطيب في دمشق

رجلٌ في كلماته وأشعاره روحُ الشفافية، وعمقُ التجربة الحسية، وبراعة الكلمة والحرف التي تتسابق إلى عواطفه لتنطلق مطواعةً معبرةً عن إحساس دافئ، وأشعار تلامس شغاف القلب لتتأصل فيه بسلاسةٍ ونبض بالحياة، وإيقاع، وموسيقى، (حيث كانت تربيةُ أجيال الوطن العربي من بعضها).

من مقدمة ديوان عليكم بالشام

للأستاذ محمد أمين أبو الشامات

محافظ دمشق ووزير السياحة سابقاً

في تلك البيئة الريفية عاش ضيفنا طفولتَهُ النقية البريئة، وتَشَبَّعَ بجمال الطبيعة الخلاَّب، الذي يُميِّزُ منطقة اللاذقية، فنشأ عصامياً معتمداً على نفسه، مكرساً جلّ وقته للعلم والتأمّل والتفاعل مع قضايا وطنه وأمته، فجاء عطاؤه جزلاً، نضراً، خضِلاً، لأنه من تراثٍ عميق، ومجدٍ تليد، ومناخ معتدل، وتربية صالحة.

من الكلمة التي ألقاها صاحب الإثنينية

الأديب عبد المقصود خوجة

ترحيبًا بصاحب الديوان ـ جدة ١٤١٨/١١/١٨

والذي أعجبني في شعر أخي الأستاذ **مصطفى** هو أنه يتكلم كرجل يدرك فقه اللغة في المرحلة الأولى، تحس أنه يوظف اللغة توظيفاً سليماً، بفهمٍ عميق للّغة والشعر الرصين، ثم أنه يصل بها إلى مستوى لطيف جداً تشعر أن الشعر ينساب إليك فتدرك أن الطفل أو الشاب سيتقبل هذا اللون من القصيد بقبول حسن، هذا اللون الذي كنا ولا زلنا نحتاج إليه.

من كلمة معالي العلامة

الدكتور محمد عبده يماني

وزير الإعلام في المملكة العربية السعودية سابقاً

في حفل تكريم الشاعر في الإثنينية

أنجز الشاعر بلورة صوت شعري، صوتٍ حافظ على اللغة نحواً وصرفاً وسلامةَ تركيب، لكنه أثار في داخل تركيب البيت الشعري الواحد دينامية عاليةً بسبب من التصرف المتفنن بأساليب الإنشاء، وحافظ على أوزان الشعر لكنه بثّ في قصائده موسيقى داخلية تولّد مناخاً نفسياً يوصل مراد النص إلى رعشات الفؤاد قبل أن توصله الأفكار إلى العقول في بعض الأحيان، وأسس عبر صوت الضمير المتألق بأشعاره للسموِّ مرحلةً جديدة تُسلِم النفسُ فيه وجدانَها خالصاً لله تعالى في واحة من واحات الإيمان.

وتبلغ تجربة الشاعر أوج نضجها، تتكامل الرؤيا وتنفتح دائرة الهمّ الإنساني فإذا هي تجربة يتماهى فيها الخاص بالعام وتذوب الذات في المجموع وتتسع فسحة الخطاب لتشمل الإنسان أياً كان وأين كان هاجسَه الأعمق، وشاغلَه ومحوَر اهتماماته.

في هذه المرحلة يتنبه شاعرنا إلى فتيان الأمة الذين هم أملها وعُدتها لمستقبلها فيخصهم بسلسلة قصائدَ وأناشيدَ طبع الجزء الأول منها عام ١٩٧٩م وعممته وزارة المعارف السعودية عام ١٩٨٠م ولا يزال الشاعر فيما أعلم يكرس اهتماماً كبيراً لهذا الشأن الخطير اهتماماً يكاد ينفرد به.

من كلمة الأستاذ الشاعر

عبد القادر الحصني

عضو المكتب التنفيذي لاتحاد الكتاب العرب

في حفل تكريم الشاعر في الإثنينية

نجتمع لنكرم مبدعاً خليقاً بالتكريم جديراً بالإعجاب، ولكن السؤال هل نكرّم في المبدع الشاعر أم الكاتب؟ هو كشاعر جدير بالتقدير، وهو كناثر خليق بالإكبار، ولكننا في هذا العصر المضطرب بالأفكار المتضادة، المليء بالحركات التي تُوجَّه للإسلام والأمة الإسلامية نبحث عن الشاعر والكاتب والمبدع الذي يؤكد بكلماته وفاءه للعقيدة الخالدة، وإحساسَه بالخطر الداهم الذي يواجه أمتنا الإسلامية، لأجل ذلك أعتبر أن

الجانب الأكثر إشراقاً في شخصية هذا الكاتب والشاعر هو الجانب الذي جعله يقول "**أنا المليار مسلم**" والجانب الأكثر إشراقاً والجدير بالتكريم والإكبار أيضاً هو الذي جعله يوظف طاقاته الإبداعية عبر عقدين من الزمان للعقيدة وحدها.

من كلمة الأستاذ الأديب

أمين عبد الله القرقوري

مدير عام مؤسسة البلاد السعودية للصحافة والنشر

في حفل تكريم الشاعر في الإثنينية

... **وأبو رفاعة مصطفى عكرمة** هو الذي أخذني.. أخذَ زهير بن أبي سلمى، ثم البحتري، وأبا الطيب وأبا تمام، ثم البارودي وشوقي وحافظ إبراهيم ومن بعدِهم عمر أبو ريشة وبدوي الجبل وعمر بهاء الأميري.

سمعته يشدو بأشعاره في مناسبات كثيرة، وقرأت دواوينه كلها فوجدت فيها أجمل ما عند أولئك الرهط من الذين تعلّقتُ بقصيدهم بلاغةً وفصاحة، ومتانة سبك، ومطاوعةَ كلمات، وحسنَ نقلٍ لأحاسيسَ ومشاعر إنسانيّة سامية، مع صدق عاطفةٍ وبديع تصوير.

أثارني في قريضه تزاحم القوافي عليه وتسابقها للفوز بمعانيه متحرراً في ذلك من عناء السعي وراءها، فكان بذلك يملك القافية ولا تملكه.

وعندما ضاقت بمعانيه البحور، ما كان أيسر عليه من تشكيل بحر يسعها زاخر الموج ذهبي الشطآن يسع من المعاني ما يجمع إلى ساحاتٍ وغىً، وملاحم عزةٍ شواطئ دَعةٍ وراحةٍ ومتعة، وأطلق على بحره »بحر الصفا« فكان بذلك سابقاً فيما صنع، وهيهاتٍ هيهات أن يلحق به لاحق!.

لو شئت أن أسوق على ما ذكرت الأمثلة لما اتسعت لي الصفحات، ولكنني ناقل لكم من غزل أبي رفاعة ـ وما من شاعر إلا ويتغزّل ـ بيتين نقل فيهما بأمانةٍ وصدقٍ عاطفته، وحقيقة أحاسيسه ومشاعره وإنصاف المحب لمن أحب وإليكما بيتيهِ:

مـــددتُ لـــه كفـــي.. فروّتـــه وارتـــوت فمـا كـان أحلـى مـا سـقينا وأعـذبا!

فـلا الكـف كفـي، لا، ولا الثغـر ثغـرَه ولكنمـــا قلبـــان في الكـــفِّ ذُوِّبـــا

فهل عهدتم ـ بربكم ـ في الشعر قديمه وحديثه أصدق وأرق وأبلغ مما سكبه شاعرنا **مصطفى عكرمة** في هذين البيتين اللذين أقامهما على بحر طويل.. طويل.. طويل!.

قصارى ما أقول هو إنه لو لم يكن **لمصطفى عكرمة** إلا هذان البيتان لكفياه شاعراً مجلياً يستحق الصدارة في القريضِ والإمارة.

المفكر الإسلامي الأديب المحامي
الأستاذ محمد صياح المعراوي

كل ما في الديوان يرشدك إلى أن أخي الشاعر الكبير مصطفى عكرمة قد ملك ناصية الشعر، وحنت له القوافي، فجاء شعره عربي البيان، فصيح البنيان، موفّق التصوير، كأن كل صورة فيه تنبض بالحياة، تمشي، تتحرك، ترتفع، وتهبط، حتى تكاد "**تقرَّاها يداك بلمْسِ**"، كما قال البحتري..

وأسمى ما فيه أنك أمام شاعر فِكرة، يعيش آلام أمته، ومتاعبها، يذكّرها بأمجادها، ويهديها سبيل الرشاد.

وهل من سبيل للعزة، والسيادة، والكرامة، إلا العودة للدين الحنيف..؟

تلك هي رسالته التي يمثّلها هذا البيت في قصيدته:

"**تبارك من براني أحمديا**" يقول:

وعـشتُ مـؤمِّلاً إصـلاحَ قـومي عـــسى ألا أرى فـــيهم شـــقيّا

فأكرمْ بها من رسالة، لا أعظم، ولا أسمى.. يا ليتنا نحملها.. إذاً لتغيّر وجه التاريخ.

العلامة الفقيه الأديب
سعدي أبو جيب
قاضي الشرع الأول بدمشق سابقاً

إن الإبحار في أعمال دواوين الشاعر **مصطفى عكرمة** تستلزم قدرات خاصّة لمن يحاول الإقدام على هذه المهمة، فلا بدَّ من التسلُّح بثقافات كثيرة حتى يدرك دلائل تلك العلاقات التي يضعها لنا الشاعر ليرشدنا بها على مفاتيح كنوز معانيه.

والخاسر هو من حاول الاطلاع فقط على بحور أبياته وموسيقى كلماته، لأنه سيكتفي بمتعة ناقصة، فالشاعر الذي لم يكُن يومًا بشعره تاجرًا، والذي يرى أنَّ الشِّعرَ أعظم ما يكون إذا تمرَّدَ ثائرًا... لا بدَّ لمن تجرَّأ على الغوص في محيطات إبداعاته أن يؤمِّن نفسَهُ بدروع الحماية السطحية حتى يتمكن من التقاط درر وجواهر هذه المعارج الثمينة.

الفنان المصري

محمود الجندي

أدعو القارئ الكريم إلى أن يعيش مع ما ضمَّه هذا الديوان مما ألهمته محبة محمد صلوات ربنا وسلاماته عليه وما أملته الغيرة على هذا الصديق الشاعر بحق فكان هذا الديوان "**عذراً رسول الله**" مؤمِّلين منه المزيد المزيد بتوفيق الله له مما عوّدنا عليه.

أسأل الله أن يجعل هذا الديوان في ميزان حسنات الأستاذ مصطفى، وأن ينفع به المسلمين، والله ولي التوفيق.

الدَّاعية الأستاذ الدكتور

محمَّد راتب النَّابلسي

من مقدمة ديوان "عذرًا رسول الله ﷺ"

أعمال المؤلف المطبوعة

١. **جند الكرامة**: مسرحية شعرية فازت بالجائزة الأولى في مسابقة المسرح المدرسي في وزارة التربية ـ دمشق ١٩٧٢ ـ طبعة رابعة.
٢. **ديوان فتى الإسلام**: الجزء الأول ـ دار الفكر/١٩٧٩ ـ عدة طبعات ـ نفد.
٣. **يقظة**: ديوان شعر وجداني ـ طبعة ثانية ١٩٨١م و١٩٨٦م.
٤. **سلسلة مكتبة الطفل العربي**: ١٢ قصة شعرية مصورة ـ طبعة خامسة.
٥. **حتى ترضى**: ديوان ـ ط١/ دار الفكر ١٩٨٢م ـ ط٢ / دار عكرمة ١٩٩٦م.
٦. **أجمل ما غنى الأطفال**: أغنيات "برنامج افتح يا سمسم" ـ دار الفكر ١٩٨٤.
٧. **من دفتر الحياة**: مقالات ناقدة ساخرة ١٩٨٦.
٨. **جذور وفروع**: قصة تربوية للفتيان ١٩٨٦.
٩. **أحباب الله**: ديوان شعر للأطفال ـ الشرق الأوسط ـ جدَّة ١٩٩٣.
١٠. **صيحة**: ديوان شعر ـ دار عكرمة ـ طبعة ثانية ١٩٩٦م.
١١. **يا بلدي**: ديوان ـ دار عكرمة ـ ١٩٩٨م.
١٢. **أنا وأبي**: ديوان شعر ـ اتحاد الكتاب العرب ـ طبعة أولى ١٩٩٦م.
١٣. **على منابر نصير الضاد**: طبعة أولى ـ دار عكرمة ـ ١٩٩٩م.
١٤. **محمديات**: ديوان ـ طبعة ثانية ـ دار عكرمة ـ ٢٠٠١م.
١٥. **مجد الحصى**: ديوان ـ دار عكرمة ـ ٢٠٠٢م.
١٦. **عليكم بالشآم**: ديوان ـ دار عكرمة ـ ٢٠٠٢م.
١٧. **فتى الإسلام**: ديوان ـ مكتبة العبيكان ـ ٢٠٠٤م.
١٨. **معارج**: الأعمال الشعرية الكاملة ـ مكتبة العبيكان ـ ٢٠٠٤م.
١٩. **وطني وطفلي**: ديوان ـ اتحاد الكتّاب العرب بدمشق ـ ٢٠٠٦م.

كما أصدر اتحاد الكتاب العرب سنة ٢٠٠٧م كتاباً جمع ما قيل عن الشاعر في حفلات تكريمه، وما كتب عنه من مقالات ودراسات حتى تاريخ صدوره، وذلك ضمن سلسلة "**أدباء مكرّمون**".

٢٠. **عذراً رســول الله ﷺ**: وزارة الأوقاف الكويتية ـ منتدى الوسطية ـ ٢٠٠٩م.

٢١. **ديوان نجاوى**: وزارة الأوقاف الكويتية ـ منتدى الوسطية ـ ٢٠١٢م.

٢٢. **أناشيد أحباب الله**: ديوان للأطفال ـ دار القدس المصرية ـ ٢٠١٥م.

٢٣. **أناشيد فتى التوحيد**: ديوان للفتيان ـ دار القدس المصرية ـ ٢٠١٥م.

٢٤. **عمر أبو ريشة** شاعر أمة إطلالة وقطوف: دراسة انطباعية ـ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ـ ٢٠١٤م.

٢٥. **تعالوا نتعلم من سيرة رسول الله الأعظم ﷺ**: الديوان الفائز بجائزة دولة قطر لأدب الطفل ـ ٢٠١٥م.

٢٦. **أنا تلميذ الرسول ﷺ**: ديوان للفتيان ـ دار المكتبي السورية ـ ٢٠١٦م.

٢٧. **لأنها الشام**: ديوان ـ دار المكتبي السورية ـ ٢٠١٦م.

٢٨. **لبيك يا أيها الأقصى**: ديوان ـ دار عمَّار الأردنية ـ ٢٠١٦م.

الفهرس

الإهـــداء	٥
وقفة ليست عابرة	٧
العاصفات بوارق الآمال	١٧
مـــــرآتي	١٩
شعري وقومي	٢١
يا شعـــر	٢٤
وطني وطفلي	٢٨
سباعيات الغربلة	٣١
حال المسلمين	٣٨
النذيـــرة	٤٣
وردة على مفرق فتاة أميّة	٤٩
حنان الأمهات	٥٥
لمـــاذا؟!	٦٣
أخا البيان	٧١
مات الكبار	٧٧
ماذا أعـدد	٨٢
يـا بـلدي	٨٨
خطوي إلى السبعين	١٠١
غـزو العـالم	١٠٥
يا صبح يا صبح	١١٣
مما قيل عن شعر صاحب هذا الديوان	١٢٣
أعمال الشاعر المطبوعة	١٣١